الطريق الثقافي

altareek althakafi

No. 114

رئيس التحرير **مفيد الجزائري**

11 كانون الثاني/ يناير 2023 11 January

التشكيل التونسي

وجود الجمال خارج الرؤية الخلاقة

12

كوراساو
حاجة الشعوب إلى الأفق
2

مذكرات آنا گريگوريڤنا (الحلقة الأخيرة)
يكسف الخطباء كما تكسف الشمس النجوم
4

لذّة التأمّل
في تداخل السردي والتاريخي

6

إضرام النّار
من نصوص الخيال والمستقبل

9

سينما مختلفة
قصص اللاجئين في الأفلام
10

الرفيق الصامت
فيلم عن الفستان المُهرّب إلى الأهوار

حالة كورت
تأملات في الإبداع والصحة النفسية
15

22 كتب

علي حسين وغوايات القراءة

مفهوم التمرد من ديوجين إلى كامو

السؤال عن التمرد متواشجُ مع نمط الحياة ونسق التفكير، وقد تراود الإنسانَ الرغبةُ للتمرد على المتعارف عليه والانشقاق عن التيار الغالب، معلناً بروحية مغامرة، عدم الانضواء إلى الكيانات المُتهالكة، غيرَ أن الاستمرارية على هذا المسلك لايتحملُ ثمنها إلّا من يكون شديد المراس. ولا مُغالاة في القول بأنَّ التمردَ نزعةٌ وجودية متجذرةٌ في تاريخ الفكر الإنساني، لكن لا تعبرُ عن نفسها إلا من خلال الفرد، مُتمظهرةً في المواقف والإكتشافات، وبذلك يختلفُ التمردُ عن الثورة، لأن الجموع هي المحركُ الرئيس في الحالة الأخيرة.

تفصيلات أوسع في صفحة عروض الكتب

الشاعرة الإيرانية زهرة خباط
بسبب الجوع يأكلون الرصاص ألوّح بيدي وأبكي
18

المعمارية مي الإبراشي
أنسنة المعمار.. التراث كمنصة للمستقبل
7

عبد الستار البيضاني
الكاتب إنسان متفاعل مع الحياة بمجسات بالغة الحساسية
20

حوار

سوزان سونتاج في خطاب الجائزة
الهروب من سجن الغرور القومي والفلسفة التافهة
16

عبد اللّه إبراهيم
فصاحة السرد وحساسية الكتابة
6

3214123412341239

ورشة لترميم المخطوطات بدعم من خبرات أوروبية

الطريق الثقافي ـ خاص

شرعت دار المخطوطات العراقية وبدعم من خبرات أوروبية، بالتحويل الرقمي لمجموعتها من المخطوطات، وترميم مئات المخطوطات ولوحات الخط العربي التي تضررت بفعل الرطوبة والحشرات والاستخدام البشري على مدى قرون من الزمن.

وتابع فريق مكون من سبع متخصصات عراقيات من قسم الصيانة والترميم في دار المخطوطات، ورشة تدريبية تحت إشراف المرمم الإيطالي ماركو دي بيلا الذي أدخل تقنية الاستعانة ببعض المواد كالنشاء، وهي مادة لاصقة تقليدية أهملت في مجال الحفظ لكن يعاد استخدامها من جديد.

ويحول عدم توفر الترميم الكافي حاليًا دون زيادة الكوادر المتخصصة وشراء المزيد من المعدات.

وكانت دار المخطوطات العراقية قد وقعّت في تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي عقد شراكة مع المكتبة الوطنية الفرنسية، بدعم ماليّ من التحالف الدولي لحماية التراث والآثار في مناطق النزاع.

الإعلان عن الفائزين بجائزة فلسطين للآداب والفنون

الطريق الثقافي – وكالات

أعلنت وزارة الثقافة الفلسطينية أسماء الفائزين بجوائز الدولة في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية للعام 2022، والتي يبلغ إجمالي قيمتها المالية 55 ألف دولار، إضافة إلى شهادة تقدير وشعار الجائزة.

وذهبت جائزة فلسطين التقديرية عن مجمل الأعمال، إلى الكاتب والشاعر والناقد وليد سيف، بينما حصل الروائي وليد الشرفا على جائزة فلسطين للآداب عن رواية "أرجوحة من عظام"، مناصفة مع الشاعر والكاتب خالد جمعة عن مجموعته الشعرية "قمر غريب فوق صانع النايات".

وفاز بجائزة فلسطين للفنون المخرج المسرحي غنام غنام عن أعماله المسرحية، ومنها مسرحية "بأم عيني عام 1948"، مناصفة مع الفنان التشكيلي محمد الجالوس عن معارضه الثلاثة الأخيرة، من 2019 إلى 2022.

نمط

شعب كوراساو والاعتذار الهولندي عن ماضي العبودية

حاجة الشعوب إلى الأفق كي تفهم

في الثاني من كانون الأوّل/ ديسمبر من العام المنصرم، وجه رئيس الوزراء الهولندي الحالي مارك روته، خطابًا إلى شعب المستعمرة الهولندية السابقة كوراساو تضمن اعتذارًا رسميًا عن الماضي الاستعماري والعبودية.

يوريس فان جينيب
ترجمة الطريق الثقافي

في الخليج الفيروزي على الساحل الجنوبي لكوراساو، ترسو السفينة السياحيّة "ماريلا أكسبلورر أثنان" Marella Explorer 2 مع 2253 سائحًا يقيمون في غرفها الفندقية املوزعة على خمسة عشر طابقًا. بالتحديد في المكان الذي ألقيت فيه جثة الثائر تولا المشوهة في البحر قبل أكثر من قرنين.

يشير جيبي باسيليو (72) إلى حافّة الشعاب المرجانية الممتدة على طول الساحل ويقول: "لقد وضعوا رأسه على رمح هنا في الحقل المحيط بالمشنقة، كرادع لثوريين آخرين محتملين". كان باسيليو، الناشط والشاعر يعمل منذ عقود من أجل إعادة اعتبار الهولنديين لتولا، زعيم ثورة العبيد الكبرى التي حدثت في كوراساوا في 17 آب/ أغسطس من العام 1795.

متأثرًا بالمثل العليا للثورة الفرنسية والثورة الهايتية، سعى تولا - كما ورد في تقرير لكاهن هولندي - إلى ظروف معيشية أفضل للرجال والنساء والأطفال من أسلاف الأفارقة الذين اضطروا للعمل وفق شروط العبودية. ويبدو أنه كان يتمتع بشخصية كاريزمية قوية وقدرة خطابية متميزة وخاصيّة إقناع مؤثرة للغاية.

أراد تولا التحدث إلى الحاكم الهولندي، لكن الأخير رفض الحوار وحشد رجاله، فنشبت معركة طاحنة بين الطرفين استمرت لأكثر من شهر. انتهت بانتصار الهولنديين. وكان تولا قد نجح في حشد أكثر من ألفي مستعبد من مزارع مختلفة، جنبًا إلى جنب مع قادته البارزين من امثال باشان كارباتا ولويس مرسييه وبيدرو واكاو. يقول باسيليو: "كان عليه ـ تولا ـ أن يدفع ثمن تحديه بالتعذيب والموت البشع".

خطاب الاعتذار

في ميدان الحريّة حيث نصب تولا التذكاري وحيث يُقام الاحتفال السنوي بالانتفاضة، عُرض خطاب رئيس الوزراء الهولندي الحالي مارك روته، بحضور سكرتير الدولة فان هوفلين. وبالنسبة لأولئك الذين لم يكونوا حاضرين ـ معظم سكان الجزر ـ بُثّ الخطاب مباشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والراديو والتلفزيون المحليين، ليتمكن الجميع من سماع كلمة الاعتذار الهولندي التاريخي عن ماضيها الاستعماري في كوراساو (جزيرة نصف شبابها عاطلون عن العمل ويعيش أكثر من نصف السكان دون مستوى الفقر). في بلد فقير يعد فيه ماضي العبودية الهولندية مثار نقاش ساخن، يبدو أن موضوع خطاب الاعتذار غير مهم، على الأقل للوهلة الأولى.

في الراديو والتلفزيون والصحف الناطقة بلغة البايماينتو (اللغة السائدة في كوراساو)، بدا الجميع يائسًا ولا ينتظر أي ذكر لـ "لحظة ذات مغزى" من لاهاي. يقول باسيليو، الذي قاد المحادثات في الجزيرة وأسفرت عن التوصيات الواردة في تقرير مجموعة حوار تاريخ العبودية، إن هذا النقص في المشاركة الجماعية يرجع إلى نقص المعرفة. لا يمكن لأي شخص لا يعرف تاريخه أن يشعر بالإثارة بشأن نشأة عدم المساواة ولا أن يشعر بالفخر لمقاومة أسلافه البعيدين. "من أجل تنظيم نفسك والتعبير عما يدور في ذهنك، أنت بحاجة إلى أفق". العديد من النشطاء هنا درسوا أو عاشوا في الخارج لفترة من الوقت. لقد كان هو نفسه محظوظًا لأن ـ الإخوة ـ الهولنديون على الجزيرة اختاروه للتدريب الكهنوتي في الخارج. لكنّه لم يصبح قسيسًا أبدًا، وعاد كناشط سياسي.

منذ ذلك الحين، كان باسيليو يناضل من أجل الاعتراف بتولا، ذلك الرجل الذي دافع عن "حرية أسلافنا". لأن: "عدم معرفة أسلافك يقصيك عن جذورك ويحول دون احترامك لذاتك". في ساحة الحرية حيث ينتصب تمثال تولا، يوجد عمود أبيض بقبضة مشدودة وسلسلة مكسورة. بينما تنتصب أعمدة متطابقة في ستة مواقع رئيسية أخرى تخليدًا لثورة العبيد. في العام 2010 أعلنت كوراساو تولا بطلًا قوميًا. لكن اعتراف هولندا به لم يحدث. لقد أرسل باسيليو إلى الوزراء الهولنديين المعنيين "أكوام من الرسائل التي لم يتم الرد عليها".

مركز تجارة الرقيق

لقرون، صورت الحكومة الاستعمارية تولا على أنه شرير ومشاغب شرس، وهذه الصورة أثرت بعمق على سكان كوراساو، حيث ينظر الفنانون وصنّاع المسرح والقادة النقابيون والمثقفون بتبجيل لتولا كمناضل من أجل الحرية. كانت مدينة ويلمستاد في كوراساو، وبشكل أكثر تحديدًا، أحياء أوتروباندا على جانبي خليج سينت آنا، مركزًا لتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي لقرون طويلة، منذ العام 1634 حتى أواخر القرن التاسع عشر. تحت الحكم الهولندي، تحولت الجزيرة إلى مستودع للبضائع وسوق لتجارة العبيد. حيث بيع ما لا يقل عن 100000 مستعبد جُلبوا من إفريقيا على أيدي الهولنديين إلى أصحاب المزارع في أمريكا الوسطى والجنوبية.

حتى يومنا هذا، يُعد شعب كوراساو شعبًا من دون تاريخ، كما تقول المؤرخة والناشطة في مجال حقوق المرأة جين هنريكيز (76): "الكل يعرف تولا، لكن لا يعلم عنه الأولاد في المدارس اليوم شيئًا. مستوى تعليمنا ليس جيدًا، ولا تزال المناهج تُصَع في هولندا". تعتقد هنريكيز أن "الاعتذار من جانب واحد ليس اعتذاراً". أنّها غير مسرورة باعتذار يوم الإثنين. على الرغم من أنّها كانت تنتظر ذلك منذ فترة طويلة جدًا، "يجب على هولندا أن توقف هذا السلوك الأبوي. يجب أن تكون الاعتذارات صادقة وفي الوقت المناسب وأن تكون مصحوبة بالعمل".

الاعتذار أم تولا؟

لقد جُمعت ثروة هولندا من عرق ودماء ودموع الأفارقة. والآن، بعد 150 عامًا، لا يزال أحفاد هؤلاء العبيد يعيشون حياة بائسة وفقر مدقع. الجميع في كوروساو لا يريدون الحديث عن اعتذار رئيس الوزراء، ويفضلون، بدلا عن ذلك، الحديث عن تولا، الذي يعدون إعادة الاعتبار له أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لها. إنه يمثل المقاومة، والمرونة، وبداية التحرر، والقيادة الجيدة. وهذا ما يتوقون إليه اليوم. في أقصى الطرف الغربي للجزيرة توجد المزرعة السابقة كينيبا، حيث ولد تولا في وقت ما من القرن الثامن عشر. أسفل التلال المغطاة اليوم بنبات الصبّار.

يقول مارلون ريغالس، أحد الناشطين اليساريين الذين نزلوا إلى الشارع مباشرة بعد خطاب الاعتذار: "ليس بهذه الطريقة الاستعمارية الجديدة. أنظر إلى التاريخ لم تم اختياره بالصدفة. في موسوعة ويكيبيديا مذكور تاريخ بدء الاستعمار في 19 ديسمبر 1722، أي أن الخطاب يأتي بعد 300 عام بالتمام والكمال.

الماكامبا

قرب نصب تولا، يقول جيبي باسيليو أنه في سنوات شبابه كان سيتفاعل بشدة مع هؤلاء الماكامبا (تسمية تُطلق على المستعمرين الهولنديين) وقراراتهم أحادية الجانب. الآن لا يمكنني عمل هذا. النص بالغ الأهمية. لذا، لا. لقد كان سيئًا للغاية". ثم يشير إلى التمثال: "كانت عظام تولا كلها محطمة، ووجهه محترقًا عندما ألقي به في البحر".

يريد باسيليو أن يسمع أن تصفية تولا كانت جريمة ضد الإنسانية من قبل دولة هولندا. إذا لم يتم الإعلان عن إعادة الاعتبار له ولم يُعترف بالبابيامنتو Papiamento كلغة رسمية للبلاد، لا يرى باسيليو أي جدوى من الاعتذار. "ما قيمة الاعتذارات من دون إعادة اعتبار ودفع تعويض؟"

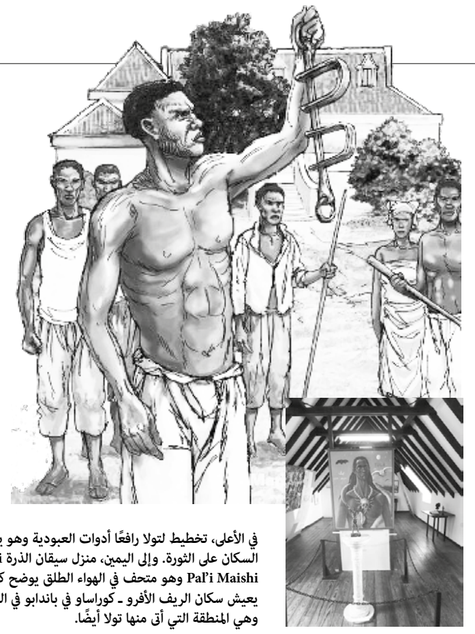

في الأعلى، تخطيط لتولا رافعًا أدوات العبودية وهو يحرض السكان على الثورة. وإلى اليمين، منزل سيقان الذرة Kas di Pal'i Maishi وهو متحف في الهواء الطلق يوضح كيف كان يعيش سكان الريف الأفرو ـ كوراساو في باندابو في الغرب، وهي المنطقة التي أتى منها تولا أيضًا.

حتى يومنا هذا، يعيش شعب كوراساو من دون تاريخ. أنّهم لا ينتظرون اعتذارًا عن ماضي العبودية فقط، بل ينتظرون أيضًا إعادة الاعتبار لتولا، بطلهم القومي الذي ناضل من أجل حريّتهم

تنظيم حفل تسليم جوائز الأوسكار في ستوكهولم بعد توقف دام عامين

الطريق الثقافي ـ خاص

أجتمع الحائزون على جوائز نوبل في العاصمة السويدية ستوكهولم مؤخرًا، في حفل تميز بالحضور الشخصي وأعقبته مأدبة رسمية، وذلك للمرة الأولى منذ بدء جائحة كورونا التي تسببت في تقليص المراسم واقتصارها على اللقاءات الفيديوية (أون لاين) في العامين الماضيين. وعلى مدار أسبوع كامل، شارك الفائزون في أنشطة تنوعت بين حلقات نقاش ومؤتمرات صحفية. وزيارة الجامعات وإلقاء المحاضرات فيها.

وقُمنح خمس من جوائز نوبل الست في ستوكهولم كل عام بعد عملية ترشيح نظل سرية لخمسين عاماً مقبلة. فيما تُسلم جائزة نوبل للسلام في أوسلو حيث تقام مراسم منفصلة. ويلي الحفل أقامة مأدبة كبرى في مبنى البلدية يحضرها أفراد العائلة المالكة السويدية ومسؤولون حكوميون وكبار الشخصيات ورجال الأعمال من مختلف البلدان.

إطلاق سراح الممثلة الإيرانية ترانه عليدوستي بعد مناشادات دولية

الطريق الثقافي ـ خاص

أضطرت السلطات الإيرانية إلى إطلاق سراح الممثلة ترانه عليدوستي، إحدى أشهر الممثلات الإيرانيات، بعد أن اعتقلتها لأسابيع بسبب إدانتها إعدام متظاهر شاب. واشتهرت الممثلة الشابة بدورها في فيلم "البائع" للمخرج أصغر فرهادي الذي فاز بجائزة أوسكار كأفضل فيلم أجنبي في العام 2017. وبحسب وسائل إعلام رسمية إيرانية، وكان عليدوسي قد اعتُقلت بتهمة "نشر أكاذيب" بشأن حركة الاحتجاج في البلاد، بعد أن أدانت إعدام المتظاهر البالغ من العمر 23 عامًا على صفحتها في الأنستاغرام التي تحظى بأكثر من 8 ملايين متابع، كما أعربت عن دعمها للمتظاهرين. وكانت عليدوستي قد نشرت أيضًا صورة لها من دون حجاب تضامنًا مع النساء الرافضات له، وسبق أن حُكم عليها بالسجن خمسة أشهر مع وقف التنفيذ، بعد انتقادها لمعاملة الشرطة الوحشية لامرأة من دون حجاب. وبعد مطالبة العديد من جماعات حقوق الإنسان أضطرت حكومة طهران بالإفراج عنها قبل أيّام.

ضوء

"صندوق شهريار" فرضية للحكي

انطلاقاً من فرضية أن شهرزاد وشهريار هما آدم وحوّاء الأدب، يسرد الشاعر والباحث فتحي عبد السميع نظريته النقدية الخاصّة حول دور الإصغاء للحكاية متمثّلاً في المروي له (شهريار)، ودور الحكي متمثّلاً في الراوي (شهرزاد) التي تروي للمبدع حكاية جديدة خلال لحظة الإبداع، فيما يمارس المبدع دور شهريار الذي يحفظ ما تمليه عليه، بحسب عبدالسميع. غير أن تلك الحكايات، التي تمليها شهرزاد، تنبع من "صندوق شهريار"، وهو المصطلح الذي يستخدمه الكاتب للإشارة إلى الحكايات التي استمع إليها المبدع في حياته، واختزنها في أعماقه.

ويتبدّى شهريار عبر وجوه عدّة، وقد يكون المتلقّي أو المروي أيضاً، سواء أكان المروي له داخل الرواية، أو القارئ الذي يستدعيه مستهدفاً الحكاية أثناء عملية الكتابة، التي يتّصل فيها الشاعر والقاصّ والروائي، تحت مظلة الحكّاء.

حدث في مثل هذا اليوم

رحيل الشاعر والمناضل اليساري ألفريد سمعان

توفي في مثل هذا اليوم من العام 2021 الشاعر والمناضل اليساري العراقي ألفريد سمعان حنا المقدسي (1928 - 2021). وهو حقوقي وشاعر وكاتب مسرحي. ولد في الموصل وتخرج في كلية الحقوق في العام 1961، وحصل على دبلوم عال في التخطيط من معهد الأمم المتحدة في دمشق عام 1971. وكان قد انتمى إلى الحزب الشيوعي العراقي وسجن أكثر من مرة. مارس العمل الصحفي والمحاماة منذ العام 1952.

أصدر أكثر من عشرين مجموعة شعرية. ويعد من الكتّاب الذين دافعوا عن المدرسة الواقعية الاشتراكية. تولى منصب الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق منذ العام 2003 حتى العام 2016. وتوفي عن عمر ناهز 93 عامًا في عمّان. وكان ألفريد سمعان حنا المقدسي قد ولد لعائلة مسيحية موصلية. سكن طفلاً مع أسرته في البصرة ودرس الابتدائية والاعدادية فيها، قبل أن ينتقل إلى سوريا لدراسة القانون، ثم عاد إلى بغداد لأكمال دراسة في القانون. وفي العام 1961 تخرج في كلية الحقوق، على الرغم من ملاحقته واعتقاله بسبب نشاطه اليساري.

تعرض لوحة "الفتاة بقرط اللؤلؤ" إلى هجوم

الطريق الثقافي ـ خاص

تعرضت لوحة الرسّام الهولندي الشهير جوهانس فيرمير "الفتاة بقرط اللؤلؤ" المعروضة في متحف لاهاي، إلى هجوم برمي الأصباغ على أيدي ناشطين بيئيين.

ولم تتأثر اللوحة الأصلية المحمية بلوح زجاجي، لكن إدارة المتاحف باتت تخشى المزيد من الهجمات المتطرفة غير المتوقعة.

وقالت إدارة المتحف في تصريح صحفي عقب الحادث، إنّه بفضل اللوح الزجاجي الواقي، لم تتضرر اللوحة لحسن الحظ.

وشهدت العديد من المتاحف حول العالم هجمات متكررة من النشطاء البيئيين في الأشهر الأخيرة، لكنّها المرة الأولى التي تحدث في هولندا، المعروفة بغنى متاحفها وما تحتويه من كنوز فنية لا تُقدر بثمن.

ويحاول هؤلاء النشطاء لفت الانتباه إلى ما أسموه "العواقب المدمرة لتغير المناخ".

ولم يتأثر أي عمل من تلك التي تعرضت لهجمات حتى الآن، لكن عالم المتاحف ليس واثقًا من استمرار ذلك.

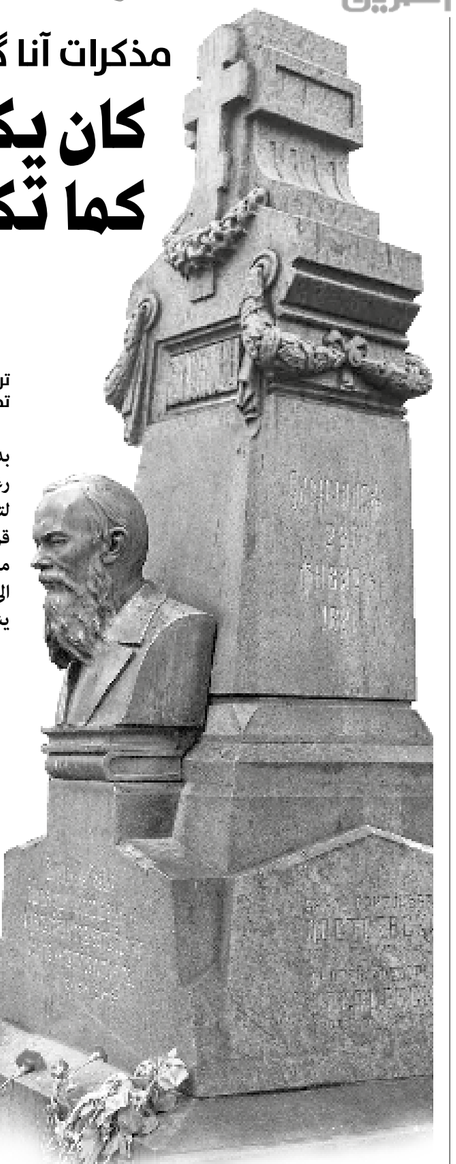

مذكرات آنا گريگوريڤنا دوستويڤسكايا.. (الحلقة الأخيرة)

كان يكسف الخطباء جميعًا كما تكسف الشمس النجوم

ترجمة: خيري الضامن
تحرير: هادي ياسين

بدأنا العام 1880 في افتتاح (مؤسسة دوستويڤسكي) للتوزيع بالمراسلة. كانت أحوالنا المالية مترديةرغم نجاحنا في تسديد الديون التي لاحقت زوجي منذ الستينيات. وما دفعنا لفتح المؤسسة التجارية لتسويق المطبوعات هو تدهور صحة دوستويڤسكي واستفحال الانتفاخ الرئوي وخوفنا من أن يعجز قريبًا عن الكتابة، ففكرنا في توفير بعض المال لليوم الأسود، تحمستُ للمشروع كثيرًا، لكنّني كنت واثقة من أن النجاح لن يكتب له إلا بتسجيل المؤسسة باسم فيودور دوستويڤسكي، الأمر الذي حوّله رسميًا الى (تاجر) ووفر لخصومه حجة إضافية للنيل منه على صفحات الجرائد، متصورين ـ بسذاجة ـ أنّه يشارك فعلاً في نشاط هذه المؤسسة المتواضعة التي أغلقت أبوابها بعد شهرين من وفاته.

الأمسيات والندوات مقتطفات من گوگول وپوشكن وغيرهما. وأتذكر أن الجدران تكاد تهتز من التصفيق بعد أن ألقى دوستويڤسكي قصيدة "النبي".

في 26 أيار/ مايو 1880 كان سيصار إلى إحياء أضخم مهرجان تشهده روسيا لتكريم ذكرى أمير شعرائها ألكسندر پوشكن، ولقّى دوستويڤسكي، شأن سائر كبار الأدباء والمفكرين، دعوة للمشاركة بكلمة في الإحتفالات التي ستقام في موسكو[2]. عكف دوستويڤسكي على إعداد كلمته، واهتم كثيرًا بالأقاويل المتعارضة التي شاعت في العاصمة پترسبورگ بصدد مضامين الخُطَب التي سيلقيها في المهرجان ممثلو جناحي الفكر الروسي: القوميون المتقيدون بالنزعة السلافية والعصريون الموالون للغرب. وكان دوستويڤسكي، وهو من الفريق الأول، يريد أن يضمّن خطابه عن پوشكن بكل ما أثقل صدره خلال هذه السنين من أفكار بخصوص رسالة الأمّة الروسية الأرثوذكسية الذي كرمه بإكليل ضخم من الغار، أخذ قسطًا من الراحة. وفي ساعة متأخرة من الليل مضى إلى تمثال پوشكن مجددًا، توقفت عربته في الساحة الخالية من السابلة في أخر الليل، نزل منها وهو يحمل إكليله الثقيل. وضعه عند قاعدة معلمه العظيم وركع أمامه، ثم سجد حتى لامس الأرض. ومن المعروف أن الإمبراطورة الأم. وبدلاً من أسبوع أمضى دوستويڤسكي في موسكو 22 يوماً كنت خلالها أتقلب على

وعلى العموم، لم يكن لدينا في بداية هذا العام ما يبرر الشكوى. فصحة دوستويڤسكي ـ في أعقاب علاجات الصيف الفائت ـ تحسنت على ما يبدو، كما تضاءلت نوبات الصرع، وطفلنا في صحة موفورة، و"الأخوة كارامازوف" تحقق نجاحًا ملحوظًا، ومؤسستنا التجارية بدأت خطوات موفقة، ومطبوعاتنا تحظي باقبال واسع. كل ذلك جعل دوستويڤسكي في أحسن حال. ورغم انشغاله في كتابة المتبقي من روايته، كان يزور أصدقاءه ويتردد على الصالونات الأدبية ويلتقي مشاهير عصره من العلماء ورجالات المجتمع وسيداته. وقد حضر مناقشة رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الفيلسوف فلادِيمِر سولوفيوف إلى جامعة سان پترسبورگ في "نقد المبادئ التجريدية"، وشارك في أمسيات أدبية كثيرة. وكان ـ كما أسلفت ـ يأسر المستمعين ببراعته وتعبيره، رغم صوته الرفيع الواهن، وببساطته وعدم تقيده بأساليب فن الخطابة، حتى أنه عندما تلا مقطعًا من "الجريمة والعقاب" ـ حلم راسكولنيكوف بشأن الحصان القتيل ـ رأيت الحاضرين مخطوفين وقد ارتسم الرعب على وجوههم، والبعض يبكون، ولم أتمكن أنا نفسي من حبس دموعي[1]. و لم يكن دوستويڤسكي يقتصر على تلاوة مؤلفاته، فهو يقرأ في تلك المرات الثلاث لا يتجاوز قدحين. توقف النزيف فعلاً نهار 26 كانون الثاني/ يناير. ومع ذلك لم يغمض لدوستويڤسكي جفن أثناء الليل، فطلب مني أن أُحضر الإنجيل وأشعل شمعة وقال: "سأموت اليوم". فتح الإنجيل لا على التعيين وأعطاني اياه فقرأت فيه: "وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتيا عليه) ـ متى، الإصحاح 3: 13-17). كرر دوستويڤسكي ما قرأت "وإذا السموات قد انفتحت له" واضاف: "ألم اقل لك يا حبيبتي إني سأموت اليوم؟". وفي التاسعة من صباح 27 كانون الثاني/ يناير 1881، غفا بهدوء ويدي في يده، إلا أن النزيف أيقظه في الحادية عشرة، والمنزل يغص بالحاضرين في انتظار عودة الطبيب الذي وصل في حوالي السابعة مساءً. آنذاك انتفض دوستويڤسكي فجأة من دون سبب واضح ورفع رأسه فنزل الدم على وجهه من جديد، ولم تسعفه مكعبات الجليد. أغمي عليه وشعرت أن النبض يكاد يضيع. وفي الساعة الثامنة والدقيقة الثامنة والثلاثين أسلم الروح.

في الأول من شباط/ فبراير 1881،شُيّع جثمان فيودور دوستويڤسكي إلى مثواه الأخير في موكب عفوي مهيب لم تشهد پترسبورگ مثله، إلا في مقتل الإمبراطور ألكسندر الثاني، بعد شهر من ذلك التاريخ.

"انتهت"

شاعر روسيا العظيم ألكسندر پوشكِن

فرحة دوستويڤسكي عظيمة بهذا النجاح! إنّه آخر حدث سار في حياته المشحونة بالمنغصات والآلام. لم يعد ثمّة موجب للجهاد بعد أن أفلحنا في تسديد ديوننا، وصارت مجلة "البشير" مدينة لنا بحوالي خمسة آلاف روبل. إلا أن دوستويڤسكي لا يجد سبيلا للراحة، فهو يعد العدة لإصدار مجلته "يوميات كاتب" عامين آخرين. وينوي كتابة روايته الثانية عن "الأخوة كارامازوف"، على أن تاتي بنفس الأبطال تقريبًا بعد عشرين عامًا من أحداث الرواية الأولى، وتغدو أعمق منها و أشد إثارة. أمضى الأسبوعين الأولين من كانون الثاني/ يناير 1881 في أحسن حال، ولم تقع له نوبات صرع منذ ثلاثة شهور، فتصورنا أن الشتاء سيمر بسلام، زارنا كثيرون يوم الأحد 25 كانون الثاني/ يناير وزوجي في صحة جيدة، وليس هناك ما يشير إطلاقًا إلى ما سيحدث بعد ساعات.

استيقظ دوستويڤسكي في اليوم التالى كعادته ظهرًا وأخبرني أن نزيفًا طفيفًا حدث له في الليل. تدحرجت المحبرة تحت خزانة الكتب، فاضطر إلى أن يزحزحها من مكانها، فنزف الدم من فمه، ولقلة ما نزف من دم لم يقلق كثيرًا ولم يوقظني ساعتها. وفي النهار كان هادئًا يمزح مع طفليه، إلا أن الدّم سال من جديد شريطًا رفيعًا على لحيته في حوالي الساعة الخامسة، فصرخت في هلع رهيب. وعندما وصل الطبيب بعد ذلك وفحصه، نزل الدّم غزيرًا هذه المرة و أغمي عليه، غير أن الطبيب أكد أن لا خطر على حياته، وقال إن الدّم سيتخثر في الشريان الرئوي المنفجر ويسد الثغرة، لاسيّما أن ما نزف منه في

الهوامش

(1) القارئ لهذا الجزء بالتحديد من رواية "الجريمة والعقاب" ـ حلم راسكولنيكوف عن الحصان القتيل ـ لن يستغرب بكاء الحضور وهم يسمعون القصة من فم دوستويڤسكي. هذا المقطع من الرواية لا يُنسى، وهو من المشاهد المفزعة والمثيرة بلا شك. كان الوصف آية من آيات التصوير الفني. وفهمت جيداً كيف يكون الإنسان شيطانًا وجبانًا كما يقول رازوميخين في حالة السُكْر.

(2) حُشدت لهذا الحفل إمكانيات ضخمة، ليكون أكبر تجمع للمثقفين الروس. منذ البداية لاح في الأفق شبح الصدام بين التيارين الأساسيين اللذين كانا يهيمنان على البلاد: تيار القوميين السلافيين الذين يركزون على الأصالة الروسية، وتيار المستغربين الذين يريدون اللحاق بالغرب بأي شكل، وكان يتوقع حضور الأقطاب الكبار للأدب الروسي وفي طليعتهم الثلاثي الشهير: تورگينييڤ، تولستوي ودوستويڤسكي.

(3) كان السؤال الأساسي المطروح على الاحتفال هو التالي: من هو پوشكِن بالنسبة للأدب الروسي؟ ما مكانته، ودلالته ومغزاه؟ ثم بشكل أخص: هل يجسّد في شخصه العبقرية الروسية أم العبقرية الأوروبية، ناهيك عن الكونية؟ كان طلاب جامعة موسكو والعديد من الحضور الهائل، ينتظرون من أدبائهم الكبار جوابًا عن هذا السؤال. في البداية أُعطي حق الكلام لتورگينييڤ الذي كان قد عرف پوشكِن في حياته، ويعتبر نفسه أحد تلامذته ومن أشد المعجبين به، لكن خطابه كان معتدلاً جدًا، ولم تُقنع أقواله الجمهور المتعطش، حتى ظهر فجأة على المنصة شخص غريب الشكل، يكاد جسده النحيل المتهدّم يتهاوى من شدة الإعياء والتوتر وسنوات الحرمان الطويلة. كان وجهه الأصفر وعيناه الغائرتان ولحيته الكثيفة تخلع عليه هيئة أولئك الممسوسين الذين طالما تحدثَ عنهم في رواياته. أخذ يتكلم بصوت أجشّ مبحوح لا يكاد يسمع في البداية. ثم شيئًا فشيئًا راح الصوت يتضح ويقوى.. حتى سيطر على القاعة تمامًا. تجمع جمهور ضخم وخيّم على الجميع صمت رهيب. وأخذ العُصاب الجنوني يؤجّج في داخله نار العبقرية، فراح يكسف الخطباء جميعًا كما تكسف الشمس النجوم الصغيرة في وضح النهار. ما الذي قاله دوستويڤسكي في هذا الخطاب الشهير، الذي توّج حياته الأدبية والذي يُعدّ بمثابة الوصية التي تركها للأجيال القادمة؟

قال عن پوشكِن: إنه تجسيد للروح القومية الروسية في كل ما تمثله من قدرة على هضم واستيعاب عبقريات الأمم الأخرى. إنه تعبير عن روسيا فيما تحمله من رسالة كونية إلى البشرية. وهو لا يقل أهمية بالنسبة لنا عن شكسپير بالنسبة للإنگليز.

ما أن انتهى دوستويڤسكي من كلامه، حتى دخل الجمهور في حالة هستيريا من التصفيق الطويل الذي لا ينتهي. كان يختلط بشهقات الزفير والنحيب، وزغردات النساء وبكاء الرجال، وصعد الطلاب إليه على المنصة كي يلمسوه، والطالبات أخذن بتقبيل يديه كيفما اتفق، وسقط أحد الطلاب على قدميه مغميًا عليه، وراح المتخاصمون من سلافيين ومستغربين يتعانقون بعد أن نجح دوستويڤسكي في مصالحة شطري روسيا. حتى تورگينييڤ، قام كي يعانقه مستسلمًا أمام عبقريته التي لا تقاوَم.

الافتتاحية

كأس الخليج والحاجة للاستثمار في الشباب

يشهد العراق هذه الأيّام فعاليات دورة خليجي 25 لكرة القدم التي تُنظم في البصرة، لأوّل مرّة منذ اكثر من أربعين عامًا، شهد فيها العراق عزلة وانفصالًا عن محيطه الجغرافي والطبيعي، وشهد شبابه، على مدى أكثر من خمسة عقود، رديًا مهولًا وحروبًا وحصارًا وتشريدًا، ثم قتلًا وتهديدًا وتصفية جسدية، عندما رفعوا أصواتهم الحرّة مطالبين بالحياة الكريمة وتوفير الفرص لهم من أجل ضمان مستقبلهم وتطوير مهاراتهم وتأهيلهم نفسيًا ومهاريًا للعمل.

إن الإقبال المهول الذي شهده الجميع على فعاليات البطولة وإصرار الشباب على حضور افتتاحها وفعالياتها ومنافساتها الرياضية، خير دليل على تعطشهم وتوقهم للممارسات الإنسانية والترفيهية بعيدًا عن الحروب واستلاب الإرادات وتغييب عقولهم واستغلال حاجاتهم لمآرب سياسية مشبوهة.

لقد عانى الشباب العراقي غربة ثقافية عميقة وهم في وطنهم، انعكست على طموحاتهم وخططهم المستقبلية، واضعفت من أواصر علاقتهم مع اقرانهم في الدول المحيطة، فولدت أجيالًا كاملة من الشباب العراقي تحت وطأة العوز والفاقة وتردي النظام التعليمي والتربوي وغياب مراكز التدريب والترفيه والتطوير، ولم تشهد هذه الأجيال أية ممارسات ثقافية أو رياضية أو ترفيهية كبرى، كما يحدث هذه الأيّام مع بطولة الخليج لكرة القدم. الأمر الذي يدفعنا للتذكير بأهمية تلك الشريحة فائقة الأهمية لمستقبل العراق، لاسيما وانّها تبلغ أكثر من نصف الشعب العراقي.

لقد غابت الخطط التطويرية والثقافية والرياضية عن برامج كافة الحكومات المتعاقبة بعد الاحتلال ـ هذا إن كانت لها برامج أصلًا ـ وتحولت وزارة الشباب والرياضة إلى حصة من حصص التقاسم ووسيلة لإرضاء هذا لحزب او ذاك، في معترك المحاصصة السياسية المقيتة، من دون الالتفات إلى أهميتها وخطورة وظيفة تلك الوزارة على خطط التطوير ومستقبل البلد، فأغلقت عشرات المراكز المخصصة للشباب ولتطوير مهاراتهم الثقافية والرياضية، وحُولت الأموال المخصصة لتطوير هذه المراكز، إلى مشاريع وهمية أخرى بعيدة عن اهتماماتهم، من أجل سرقتها في ظل استشراء الفساد المُطبق على كافة المفاصل الحكومية.

إنّ تطوير المستوى الثقافي ونشر الوعي في أوساط شريحة الشباب، من شانه أن يشكل خطرًا محدقًا على وجود الأحزاب الفاسدة وفرص احتكارها السلطة والتحكم بمصير الشعب، لهذا تعمد تلك الأحزاب، إلى إهمال الخطط وكل ما من شأنه تطوير مدركات الشباب وتنمية وعيهم الثقافي، بما في ذلك عدم صرف الأموال لإعادة افتتاح مراكز الشباب الثقافية والرياضية في المدن العراقية، وتوفير الكفاءات المدربة والمتخصصة للعمل فيها. وإذا ما أضفنا هذا كله إلى الإهمال المتعمد لوسائل الترفيه والتطوير الأخرى، كالمعاهد الثقافية المتخصصة ومراكز تنمية المهارات الفردية وتعلم اللغات، فأن النتيجة ستكون كارثية بكافة المعايير، لاسيّما عندما يعتقد وزراء الشباب المتعاقبون ـ غير المؤهلين في الغالب لمناصبهم ـ أن وظيفتهم تتلخص في بناء ملعب هنا او صالة ألعاب رياضية هناك، وكسب الجمهور الشبابي لأحزابهم وزعمائهم، وليس وضع الخطط والدراسات للنهوض بالواقع الثقافي والمعنوي والمهاري لتلك الفئة التي يستند إليها مستقبل العراق كلّه.

عبد اللّه إبراهيم

فصاحة السرد وحساسية الكتابة

علي حسن الفواز

قد يبدو صعبا الحديث عن خصوصية ل"هوية" الرواية العربية، لكن ذلك لا يعني التغاضي عن قدرة هذه الرواية في التعاطي مع اشكالية التاريخ العربي، بوصفه عقدتها الأكبر، ومع اشكالية الواقع بوصفه فضاء لشكاليات ثانوية، تخصّ الايديولوجي والسياسي والاجتماعي والجندري والجنسي.

حديث الناقد عبد الله ابراهيم عن هوية الكتابة السردية العربية الجديدة، طرح الدكتور يدفع بإتجاه مقاربة علاقة هذه الرواية بالخصوصية، وبالمدى الذي ستسترقه للبحث عن تقعيد توصيفي، أو عن مرجعية نظرية تسوّغ وجودها، وتُستأنف معها اسئلة التجديد، إذ إن تجاوز النمطي في "الكتابة الواقعية" ينفتح على مساحات، قد تستوعب التجريب، والتغامر مع اشكال لها جدّتها في النظر الى قضايا الإنسان العربي، والى مشكلاته الكبرى، والى التقانات التي ستكتب بها هذه الرواية.

مصطلح (الفصاحة السردية الجديدة)* اثار جدلا في سياقه المفاهيمي، وفي سياق تداوليته النقدية، إذ هو ينطوي على مقاربات تخصّ اليات الكتابة، وتخص ايضا تجديد اساليبها، ونظرتها الى الخصوصية، بوصف هذه الخصوصية موضوعا يخص الهوية، والذات، والافكار، لاسيما وأن الرواية العربية لم تتحرر من عقدة العلاقة مع الآخر من جانب، ومن عقد تخص مركزيات اللاوعي الجمعي الذي يستبطن موقف الروائي من قضايا الحرب والسلطة والجنس والاحتلال والثورة والجنس، وهي بلا شكل ستظل تحمل معها دوافعها لتشكيل وعي جديد ومختلف في الكتابة، وبحساسيتها إزاء المخفي من التاريخ، وعلى افتراض أن هذا التاريخ مازال مفتوحا على محنة السرد العربي، بوصفه عالقا بذاكرة الحكي، اورمها ما يعنيه عبد ابراهيم بالقصد بأنها تعني(نظاما رمزيا يستطين المرجع، ويجعل المتلقي يتوهم بأنه يتصل به، لا بقصد تصويره كما هو، إنهمام يهدف منح المعنى الخطابي له)[1]

مسؤولية الناقد لا تتحرر من موقفه الثقافي من القضايا الاشكالية، ومنها التاريخ، فتلك الحساسية، قد تكون عنصر مراجعة، أو قد تكون عنصر استفزاز ومواجهة، وسعيا للتجاوز، فضلا عن كونها معنية برصدِه لتحولات تلك الكتابة، على مستوى شكلها، ومعالجتها وصياغتها، وعلى مستوى علاقتها بالزمن والمكان والحدث والشخصية.

هذا التصوّر بالنظر الى جدّة هذه الرواية، لم يكن بريئة، بقدر ما أنها تعني ضرورة وجود رؤية مغايرة، ووعي اشكالي، مهجوس بفكرة تخطي ذاتها مجالا لسردنة الواقع ذاته، والكشف عن عيوبه النسقية، تلك التي تتسرب من التاريخ، أو تصنعها السلطة والحرب والاحتلال كما في رواية محمد حياوي "خان الشابندر" ورواية خضير فليح الزيدي في "عمتي زهاوي" ورواية "عذراء سنجار" لوارد بدر السالم.

الفصاحة والسياق

الإنحناء على دلالة الفصاحة هنا ليست رهينة بسياقها العام، بل هي لحظة وعي مُفارق، وجدّة في النظر الى الوظائف السردية، حيث يمثل هذه الفصاحة (الإفصاح عن مقتضى الحال، والذي هو الإبانة الفائضة عن المعنى المرجعي للخطاب الأدبي)[2].

كما أنّ إطلاق هذا المصطلح ضمن ظرف تاريخي وثقافي استثنائي لايعني محدوديته، بقدر مايعني مفارقته في التعاطي مع وقائع بعينها، ومع مساحة من النصوص الروائية التي تحتاج الى ممارسة فاعلة وحقيقية من الحكم النقدي، والى رؤية واضحة، لها امتياز الخبرة والمهنية، وله جرأة المواجهة والتجاوز، وبالتالي اقتراح وظيفة مجاورة للناقد/ المُحكِّم تتبدى عبر مسؤوليته في استشراف أفق آخر للكتابة، والسعي لأن تكون فاعلية هذا الناقد أكثر أهمية في التحفيز، وفي التحريض، وفي ترسيم ملامح المجال الاصطلاحي التداولية، وبيان قيمته النقدية، والكشف عن(العثرات) الفاضحة في الكتابة السردية، فبقدر مابات هذه الكشف ضروريا ولازماً، فإنه يستدعي مراجعة مهنية لتلك الكتابة ذاتها، ولادراك حمولاتها الرمزية على مستوى البنية والخطاب، أو على مستوى القيمة الثقافية ونسقياتها المضمرة، مثلما يستدعي وعي عميقا باللغة، إذ إنّ هذه الفصاحة (لاتقوم على اللغة بذاتها، إنما على قوة التمثيل، حيث تكون اللغة نصرا من منظومة أشمل للتمثيل العام)[3].

المصطلح والأسئلة

مصطلح الفصاحة ليس سؤالا بريئا، لا بالمعنى البلاغي، ولا بفكرة تجديد استعماله، لأنه سيثير كثيرا من الأسئلة، مثلما سيحتاج لكثيرٍ من الإبانة عن أغراضه، وعن جدواه وجدّته، وعن شرعية قبوله التداولي في النظرية النقدية وفي المرجعيات اللغوية، وفي استعمال مناهجها، لكن ادراك الناقد/ المُحكِّم والقارىء العمدة بتوصيف ريفاتير سيظل رهانا دائما على فعل التجاوز، وعلى وضع المصطلح والمفهوم في سياق تاريخي قابلاً للتعاطي مع اجرءات هذا الفعل، على مستوى فاعليته واستعمالاته، وعلى مستوى تأصيل دقته العلمية والنقدية، وحتى اللغوية والوظيفية.

يقول الدكتور عبد الله ابراهيم: (للسرد وظيفة أساسية، هي: القيام بتمثيل المرجعيات الاجتماعية والتاريخية والدينية والثقافية التي يتصل بها، وليس نسخها، إنما رسم صورة متخيلة قابلة للتأويل المضاعف عنها، فهو نظام رمزي يستبطن المرجع)[4].

هذا التأطير يعني لنا تشكيلا لطبيعة وظائفية السرد، مقابل ترسيم أفق آخر لعلاقة القارىء بهذه الوظيفة.

فهل ستكون وظيفة قائمة عبر مهيمنة مايُتحيه التخيّل من سرديات استيهامية؟ أم عبر طبيعة ماتثيره الرواية من أسئلة لها علاقة بالهوية والوعي والتاريخ؟ وهل ستكون لمرجعيات القارىء الثقافية والتاريخية والنفسية أثرٌ في تشكيل هذه العلاقة؟ توصيف مايقوم به الكاتب، هو توصيف ما يخصّ لقارىء أيضا، ولمدى التواصل مع فعل الفصاحة المقترحة، إذ سيضعنا هذا التوصيف أكثر انحيازا لنظرية التلقي، ولشغف القارىء في أنْ يكون حاضرا بوصفه قارئا يتجاوز النسق، أو حتى قارئا ضمنيا يتابع فعاليات انتاج تلك الرواية او تلك..

كما أن اختيار عبارة الفصاحة لا تعني الإتكاء على مرجعيات لسانية محددة، يبررها الكاتب بإنها فاعلية في (الإفصاح) بقدر ماتعني- كما أرى- تجاوزا في تأهيل الوظيفة اللسانية الى وظيفة تواصلية تدخل في مجال المعرفة، وحتى في مجال توسيع مديات التقانات السردية، ومجالاتها التعبيرية، لا بقصد التوضيح المجرد، مثلما هو وارد في المجال القاموسي للنقدية السردية، بوصف أنَّ الفصاحة بمدلولها هي(الدقة والسلامة في اللفظ) لكنها أيضا تدخل في مجال الكشف عن الحمولة التعبيرية في الجملة وفي النص، وهذا مايعني إمكانية تجديدها، وتطوير مجالها الإجرائي، عبر نزعها من سياقها البلاغي القديم، وعبر وضعها إجرائيا في سياق جديد يقوم على تنشيط فاعلية المفردة/ المصطلح، وشحنها بتعبيرية فائقة لها دلالتها في السياق الجديد، أو كما تُرهَن فاعليتها بقيمتوها على أساس قوة التمثيل وقوة الإبانة، وتوسّع تمفصلاتها مع تناصات مجاورة في اللساني والتاريخي والسيميائي..

الفصاحة واللغة..

التحقق في وظائفية هذا المصطلح ودقته المفهومية تدفع الناقد لمواجهة تاريخ قارٍّ من المعاني المُكتسبة، وأن تجريد هذه المصطلح من تاريخيته مسألة تتطلب جهدا ووعيا وتوصيفا، و(بلاغة نقدية) تصل بالناقد الى مبتغاه، وتصل بالفعالية النقدية- أيضا- الى معاينتها المراد توضيحها، وأحسب أنَّ الركون الى اللفظ بوصفه القديم- عناية بسلامة الألفاظ من اللحن والإبهام وسوء التأليف-، سيجعل قماشة اللغة أضيقَ، ويضع الألفاظ المُستهلكة في خانة المهمل والعاطل، لكنَّ اللغة بوصفها المادة الحية تملك قابلية للارتقاء ولتحسين

أثار مصطلح (الفصاحة السردية الجديدة) جدلًا في سياقه المفاهيمي، وفي سياق تداوليته النقدية

الأداء، أي في حيازة القدرة على التعرية، وفي اعادة تشكيل الزيِّ اللساني في سياق تعبيري يقوم على نبذ القياس، ليس بمعناه الفقهي، بل بتوسيع وظائفيته الاستعمالية، والتي تبتكر له توصيفا وسياقا، وتجعل من حضوره في الجملة الثقافية أكثر تأهيلا وسعةً من وجوده في الجملة الاتصالية/النحوية المباشرة..

وهذا مايمكن تعالقه مع التوصيف الذي اقترحه الكاتب عبد الله إبراهيم لمشغله النقدي، ولقراءاته لمجموعة من الروايات التي شاركت في احدى الجوائز العربية، إذ وجد الناقد بوصفه مُحكِّما في هذه الجائزة، أنّ العديد من الروايات التي تم وضعها في القائمة القصيرة تملك هذه الأهلية، وأنها تهجس برؤى سردية وتعبيرية مغايرة، وبتقانات لغوية تترسم الإبانة، والجدّة، والقدرة على أن تكون بمستوى التحقق في الخطاب، أو بمستوى ابتكار طرائقية جديدة لها مهارات في الوصف وفي التمثيل، وفي المعالجة، وفي تنشيط المخيال السردي، وفي اثارة مخيال القارىء أيضا، وفي تسريع فاعلية الرسالة (الياكوبسنية) الى قارئها اليومي، أو النسقي، وحتى على مستوى تعاطيها مع مكونات الرواية وعناصرها عبر أحداثها وشخصياتها، وعبر تمثلاتها للزمن والمكان السرديين.

الفصاحة والرواية

ربط الفصاحة ذات المرجعيات اللسانية والشعرية بفضاءات الحكي السردي باتت مجالا للدراسات الثقافية المعاصرة، وهو مايعني مقاربة المجال النسقي للسرديات، بوصفه مجالا ينفتح على المضمر والمسكوت، وكذلك الكثير من المجالات الاجتماعية والسياسية وحتى التاريخية، وهذا مايجعل علاقة الرواية بالرسالة الثقافية والتاريخية أكثر اشتباكا، وأكثر تعبيرا عن الانهمام بعالم مسكون بالصراعات، بما فيها (الصراعات الأهلية) تلك التي تنبش في الجذور، وفي الهويات، وفي العقد والسرائر، والتي تحوّلت الى المادة الرئيسية في أغلب الروايات المقروءة، وهو مايعني تموضع الرواية في سياق يتجاوز ماهو تأملي، الى ماهو وجودي، يلامس الذات والجماعة والتاريخ والجسد واللذة والوجع والعنف، مثلما يلامس قضايا تمس أفكار الالتزام والارادة والحرية والعنف، والمرجعيات التي تستكنه النسقيات المُضمرة في ما هو إنثربولوجي وسيميولوجي، وهي مناطق اشتغال معرفية وعرة، من الصعب لها أنْ تسترخي أمام لغة إنشائية، أو أمام معالجات تنأى بنفسها عن كشف (المقموع والمسكوت عنه)، ولعل مصطلح (الفصاحة السردية) يجد نظيره أيضا بالمصطلح الذي أشار اليه الناقد في سياق مقارباته النقدية بـ(النواة الصلبة)** وهو أيضا مصطلح اجرائي يقترح له الناقد أفقا نقديا يملك أهليته وفاعليته في سياق التعريف بفصاحة السرد وبتقاناته وبسِماتٍ تعكس ملامح التجاوز في الرواية العربية الجديدة.

* جريدة الرياض/ العدد/ 16707 في 22 مارس/ 2014
(1) (2) (3) (4) المصدر ذاته
** المصدر ذاته

المعمارية المصرية مي الإبراشي

أنسنة المعمار وتقديم التراث كمنصة للمعاصرة

كريستين هانيما
ترجمة: بزند سليماني

تقع مقبرة القرافة القديمة، المعروفة باسم مدينة الموتى، في حاضرة مدينة القاهرة المصرية. تقول مي الإبراشي، المعمارية المولودة في القاهرة: "لا أحب هذا الاسم". وتوضح: "أنها منطقة حيوية نمت بشكل مطرد مع المدينة، حيث بنى الناس أماكن معيشة ومساحات للتعليم الديني وسط المقابر الأثرية وحولها".

لكن الحكومة تريد الآن هدم تلك المباني لبناء طرق سريعة ومجمعات سكنية، وهو ما يحدث بالفعل في الكثير من الأماكن. الابراشي ترفع لواء معارضة تلك الخطط وتحقق نجاحًا متصاعدًا في مساعيها. بواسطة اصطحاب زملاءها من سكان المدينة والسماح لهم بتجربة قيمة العمارة (الدينية)، تشركهم في الحفاظ على المباني. على سبيل المثال، رُمم ضريح محمد بن إدريس الشافعي، مؤسس أحد المذاهب السنية الأربعة، الذي يعود تاريخه إلى ألف عام، كما أُنشئ مركز للزوار يُتيح لهم إجراء جولات إرشادية في المستقبل.

جائزة المعمار

حصلت مي الإبراشي على إحدى جوائز الأمير كلاوس الهولندية الست المخصصة للمعمار والفنون التشكيلية "إمباكت" للعام 2022، عن "عملها الرائد في مجال التراث الثقافي، والعمل على افتراض أن التراث في نهاية المطاف يتعلق بالناس". كتبت هيئة المحلفين أنها "خلقت سردًا مضادًا مهمًا لتركيز الإدارة الحالية على التوسع الحضري والتجديد، وإحساس جديد بالأمل والفخر في المجتمعات التي تعمل معها."

وتُعَد رؤية الإبراشي مثيرة للاهتمام بالنسبة للبلدان الأخرى أيضًا، ففي نهاية المطاف، ما زالت أغلب المدن تبحث عن أسلوب معماري يمنح المواطنين البسيطة على بيئتهم المعيشية. ولأننا على وجه التحديد يجب أن نتعامل مع المواقف المتطرفة، مثل المناخ الحار، فإننا نطور بسرعة أساليب جديدة.

بعد دراسة الهندسة المعمارية، غادرت إلى لندن لمتابعة تعليمها في علم الآثار وتاريخ الفن. وقد لاحظت أن الرابطة بين السكان وتراثهم كانت ضعيفة، بعد أن فقدوا إحساسهم بالملكية. تتبع مصر الاتجاه الأوروبي المتمثل في الحفاظ على المباني في حالتها الأصلية، باعتبارها "كائنًا" معماريًا لا يُسمح لك بلمسه، لذا لابد من استعادة الاتصال مع السكان إذا استفادوا من إعادة التطوير اقتصاديًا واجتماعيًا وروحيًا.

وهذه هي مهمة شركتها "Megawra - Built Environment Collective" التي أسستها في العام 2012، وهي خليط بين الشركة المعمارية والمنظمة غير الحكومية، استثمر بواسطتها الإبراشي الأشهر الستة الأولى في المناقشات مع المجتمع والسلطات المحلية والمتخصصين في التراث. وباستخدام دراسات الحالة، اختبرت كيفية الوصول إلى إجماع شعبي بشأن الكثير من الخطط التطويرية.

هندسة القبة

بالإضافة إلى مكتبها ، أنشأت الإبراشي مساحة لأنشطة (شبابية) وورشة عمل حيث يمكن للمرأة القيام بأعمال التطريز. تستخدم التعليم حول التراث لتعليم الأطفال القراءة والحساب بشكل أفضل. على سبيل المثال،

يدرسون هندسة القبة ونسبة الماء في التربية لصنع الجبس الطيني. وبالتعاون مع المجتمع، قامت بترميم خمسة مبانٍ تاريخية.

لقد أدت الأضرار التي لحقت بالمباني بسبب المياه الجوفية (المتسربة من أنابيب الإسالة) إلى أنشطة جديدة. ونظرًا لأن شبكة الأنابيب لن يتم إصلاحها على المدى القصير، فقد قرروا جمع المياه المتسربة واستخدامها لري حديقة أنشأوها بأنفسهم. بالإضافة إلى ذلك، أنشأوا نظامًا لجمع النفايات البيولوجية وتحويلها إلى سماد لتسميد المساحات الخضراء الجديدة. أنّهم يقومون بذلك سوية مع المجتمع الذي نظموا له ورش عمل عن البستنة وكيفية صنع الأسمدة.

ثمرة التخطيط

تجد مي الإبراشي الشيء الأكثر قيمة في عملها هو التغيير الإيجابي الذي تراه لدى السكان. "أتذكر فتاتين من برنامجنا المخصص للمراهقين، لقد كانتا خجولتين جدًا ولا تستطيعا الاندماج مع الآخرين أو التعبير عن نفسهما، لكن بعد ثلاث سنوات، صارتا تتحدثان طوال الوقت عن خططهما وأحلامهما، وأحداهما تكتب الشعر، بينما تخطط الأخرى لتصبح مصممة أزياء.

لقد كان حمل النساء هلى المشاركة في برنامج المجموعة أكثر صعوبة من الرجال، وذات يوم جاءت إليهم مجموعة من النسوة وسألنهم عما إذا كان بامكانهم تنظيم دروس في القرآن. فأخذوهم إلى الضريح المرمم في المقبرة، حيث شرحوا لهنّ تاريخ المبنى والمذبح الذي اكتشفوه أثناء التنقيب. فكانت النسوة مندهشات من كم المعلومات التي كنّ يجهلنها وأهميتها. وقد كانت تلك تجربة رائعة بالنسبة للإبراشي ذكرتها بأن مهنتها تدور حول تبادل المعرفة والاحترام المتبادل.

جوائز إمباكت

مُنحت جوائز الأمير كلاوس إمباكت 2022 إلى أيلتون ألفيس لاسيردا كرينك (البرازيل)، زعيم السكان الأصليين. والناشط البيئي والفيلسوف والكاتب والمخرج السينمائي السنغالي الفرنسي آلان جوميس. والفنان المغربي حسن الدرسي الذي يسعى لتأصيل التفكير النقدي في الأماكن العامة. والفنان الكوبي المدافع عن حقوق الإنسان لويس مانويل أوتيرو ألكانتارا. ماريا ميدرانو (الأرجنتين) كاتبة وشاعرة ومحررة وناشطة في مجال حقوق السجينات. ومي الإبراشي (مصر)، مهندسة معمارية تشرك المجتمعات في الحفاظ على التراث وترميمه وإعادة توظيفه.

في تداخل السيري والتاريخي

لذة التأمل القرائية.. التحليل واستبطان الحكايا

"الكتابة امتياز نخبوي"
(جيل ويلز)

علوان السلمان

النص السردي نص فعل متفاعل، ووليد مقومات وعوالم تخييّلية تشكل نسيجه الحاضن لاحداثه وشخوصه. من اجل تحقيق المنفعة المنبعثة من عوالمه الحالمة من جهة، ولذة التأمّل القرائية بالتحليل والتساؤل واستبطان حكايا الشخوص من جهة اخرى. مع قدرة على مواكبة الواقع المجتمعي الذي يولد فيه ويحاكيه بتنوعه ووعيه في نسج متزن وملائم لمسيرة النص التصاعدية.

وما بين السرد الذاتي الذي يحقق عوالمه الراوي العليم والسرد الموضوعي الذي يخوض تفاصيله السارد الضمني الذي يشركه الراوي العليم في العملية السردية..(وعليه سنشركه بين حين وآخر في ان يروي لنا ما عاشه من احداث وما يراه هو مناسبا لسرده من حكايات أملت به في ماضيه وحاضره وما يتوقع حدوثه في القادم من الايام..على اننا سوف نتكفل القسط الاعظم من تجاربه..) ص8 ـ ص9.. كان المنجز السردي(الذئاب على الابواب) الذي حققت عوالمه النصية ذهنية فكرية متأملة نسجتها انامله وهو يسبح بين تيماته التي اتكأت على اساليب حكائية داخل بوتقة واحدة بلغة واقعية تحمل خطابها الممزوج بلمسات جمالية اعتمدت تقسيم الاحداث الى اجزاء متفاوتة الكثافة من اجل اضفاء طابع التشويق على المبنى الحكائي..واسهمت دار النخبة في نشرها وانتشارها/2018..لاشتغال منتجها القاص والروائي احمد خلف على تيمات حكائية متعددة كان في مقدمتها(السيرة والتاريخ والبوح الذاتي..)داخل نسجه السردي..ليخلق عالما مليئا بالمفارقات المتشابكة التي تقوم على التناقضات المتصارعة بحركة دينامية منفتحة على واقع متعدد الشرائح الاجتماعية..ابتداء من العنوان الايقونة السيميائية التي شكلت على مستوى الدال نسق لغوي بفونيماتها الثلاثة جملة اسمية دالة على الوصفية برؤية منحت المستهلك(المتلقي) وعيا مضافا بما تحمله من طاقة ايحائية تشده للولوج في عوالم النص وسبر اغواره واستنطاقه للوصول الى ما خلف عوالمه المشهدية..اضافة الى انه يركز على الهم الاجتماعي كمحرك مؤثر في الواقع الاجتماعي داخل بنيته السردية والذي يحدد الوعي الاجتماعي المتمثل بشخصية(يوسف النجار)..الذي شكل بؤرة السرد البانوروميي المتشظي الاحداث من جهة.. وصاحب التاريخ السيري المكتظ بالمفارقات الحياتية من جهة اخرى..انطلاقا من دراسته الجامعية ومرورا بمشاركاته في الحروب وانتهاء بالاحتلال وتداعياته التراجيدية التي آلت الى فوضى البلاد التي كان من نتائجها الطائفية المجنونة التي حرقت الاخضر واليابس متمثلة في تفجير بيته وقتل ابنته وتهديده ومراقبته..كل هذا جعل منه بطلا اشكاليا يعيش ماضيه وحاضره برؤية رافضة لواقعها بعد ان عاش اغترابا مكانيا متعددا يكسره احيانا يونس الغطاس الذي(لايعرف لسانه الكذب)و(لا تأخذه نزعة دينية أو مذهبية)والذي اخبره عن تفجير بيته:

ـ لقد كشفوا عن انفسهم بالاعتداء على بيتك..

ـ ولكن لا أظن أن لي اعداء يكرهونني الى درجة الانتقام من أسرتي؟

ـ عليك بالصبر والا تبدو أمامهم ضعيفا خائر القوى..انهم ينتظرون تلك اللحظة التي تنهالك فيها الى الارض كي يملأ الحبور صدورهم الخاوية..حذار حذار من لحظة الانهيار تلك..

تبادلا النظرات بصمت يعلم لو حصل للغطاس ما جرى معه لكان الرجل قد الهب الارض تحت أقدامهم ولكن من هم؟ ليس من الصحيح ان يلقي الاتهام كيفما يخطر له..)ص13..

فالمنتج(السارد) باكتناز ذاكرته ووعيه الثقافي(الذي هو مجموع ما انصهر في ذهنه من جهد قرائي وبصري) يركز على تفاصيل الاحداث والمواقف المتوالدة منها والمتفاعلة مع الشخصية وتأثيرها في توجيه حركة النص وترابط تيماته الحدثية..حتى انه جعل من بطله(يوسف النجار) بؤرة مركزية تجتمع حولها خيوط النص وتمنح نسيجه وحدة موضوعية بلغة انفردت بمستواها التعبيري المتدفق وخصوصية الفاظها الايحائية التي تعرض افكارا ذات ابعاد نفسية وتنقل قيما انسانية..كون اللغة روح المعنى باعتبار علماء السيميولوجيا..

فضلا عن ان النص مكتظ بالملامح الاسلوبية والفنية كالاستباق والاسترجاع والتذكر من اجل دعمه فنيا عبر بنية مكانية مؤطرة للسرد وموسومة بالتنوع ضمن رؤية فكرية تتناول تيمات منتزعة من الواقع الاجتماعي وصراعاته التي انعكست على الشخوص القلقة بحكم صراعاتها النفسية واحساسها بالاغتراب..اضافة الى انفتاح السرد على الكائن الانثوي بصفته عنصر تشويق من خلال فعل الرغبة مع رصد الجماليات على مستوى اللغة والاسلوب والمعمار البنائي وتعدد الاصوات المنبثقة نتيجة تعدد الضمائر..مع تضافر الدلالات لتشكل جزء من التكوين الانساني الذي هو جزء من التجربة الذاتية..

(حاول يوسف وبهدوء ان يتجاهل سيل الكلام الذي خصت به معارفها الذين تنكروا لها..لئلا يقع في ورطة من يعرف ومن لا يعرف..

ـ يسعدني ان تضميني الى مجموعة الاصدقاء من ايام الجامعة.

حركت رأسها وهي تبتسم وعيناها تتأملانه عن كثب لعلها كانت تزنه من خلال وقفتهما معا الآن..

ـ كنت طالبا منعزلا ولم تكن تريد التقرب من..

قاطعها:

ـ انت ايضا كان لك جماعة تنسجمين معهم..

ضحكت وقد اسعدتها صراحته وعدم ترددد في مخاطبتها عن تلك الايام الجميلة الهاربة من قبضتها ومن بين يديه هو ايضا اذ لم يعد لهما من تلك الايام سوى التذكر

وزع نظراته المتمعنة بينها وبين ابنتها ووجدهما ليستا متباعدتين في العمر..وان الام ما تزال تحتفظ بالمزيد من حيوية الشباب الهارب..وان كانت ضحكتها الطرية ونظراتها التي لا تخلو من ذكاء تكفيان للاعتقاد انهما شقيقتان ومن اروومة واحدة..

تلك كانت البداية للارتباط الحر الذي اسماه بكل قناعة واصرار(علاقتنا حرة منفتحة) وقد وافقت على طلبه ذاك..قال لها:لا أحد يعلم الغيب ابدا..لا انا ولا انت..ونحن لسنا صغارا..أعني نستطيع ان نقرر نوع علاقتنا عندما نعتاد على بعضنا..حين نعرف كم نحن بحاجة شديدة لبعضينا..) ص39 ـ ص40..

فالسارد يبني نصه الذي هو حدث تتوافر فيه معايير فنية على المستوى الموضوعي والذاتي على امتداد الهاجس النفسي المشكل للمشهد من خلال تداعي الزمن في الذاكرة..مع توظيف الحوار الذي هو(نمط من التواصل القائم على اساس التبادل والتعاقب على الارسال والاستلام)..بشقيه الذاتي والموضوعي الواقعي بصور تعبر عن مظاهر الصراع الفكري والانسجام العاطفي..

اضافة الى مزاوجة المنتج بين الفضاء المغلق والمفتوح بقصدية التضاد مع توظيفه تقانة التنقيط المساحة التشكيلية التي تستدعي المستهلك(المتلقي) لملأ فراغاته..

من كل هذا نستنتج ان الرواية كشفت عن محنة الانسان ومعاناته وسط عالم الجريمة الذئبية التي يقودها خفافيش الظلام بدعم من الاحتلال الذي سعى ويسعى لتحطم القيم الانسانية والبنى التحتية..لكن(يوسف النجار)الرمز والراوي الضمني المنتفض..يقود الموجهة بعد ان(تيقن من وضع سلاحه تحت طيات ثيابه.. قام بفحص السلاح الناري قبل الهبوط نحو الاسفل..تأكد من وجود الاطلاقات داخل السبطانة..أعاد مسدسه الى وضعه ورتب هندامه..أغلق الباب وراءه وهبط لملاقاة الرجلين استجابة لتحديهما العنيد..) ص327..

ـ (ذئاب على الابواب) نص سردي مفتوح النهاية..يتنفس نبض الحياة والاشياء..سابح بين عمق الرؤية وجمال التشكيل..مع تنوع البناء السردي وتجلي بواطن الذات وصراعاتها..مع اشتغال عل تيمات حكائية منتزعة من واقع اجتماعي مأزوم..اضافة الى تأكيد السارد على البنية المكانية المؤطرة للسرد الموسوم بالتنوع ضمن رؤية فكرية تحققها شخوصه المنحدرة من شرائح اجتماعية متفاوتة يجمعها الضياع الوجودي..مع مواكبة الواقع الانساني الذي يصوره بلغة تجرده من واقعيته صوب غرائبية ادهاشية تقوم على مجموعة من الافعال المتداخلة زمنيا بتصوير مشاهد حركية من خلال متابعة مجريات الاحداث ونفسيات الشخوص والخوض في غمار الامكنة بلسان الراوي العليم..واعتماد ضمير الغائب الذي اتاح الاقتراب والحضور الفاعل في تقديم الحدث وتسليط الضوء على القضايا الانسانية عبر مشهدية سيمية تعتمد سردية بعيدة عن الضبابية.

من نصوص الخيال والمستقبل

إضرام النّار

أردال بلسي
ترجمة: سارة محمدي

ماذا بقي من الإنسانية اللعينة عندما أشعلنا النار بآخر لوحات فيرمير؟

كانت الحرب النووية هي الضيف المدعو الذي لا يتحمل البقاء بعيدًا إلى الأبد. مثل الفئران التي لم يسمح لها نوح بالصعود إلى ظهر السفينة، ولكنّها نجت بطريقة أو بأخرى من الطوفان.

تركنا الحفرة التي كنا مختبئين فيها لمدة يومين. واتّجهنا تلقائيًا نحو الغرب، لأنه لا يوجد شيء يذكرنا بالنسيان أكثر من مياه المحيط.

تقدمنا متماسكين بأيدٍ مرتجفة إلى الأمام، وكان فلاديسلاف زبيلمان، من فيلم عازف البيانو الذي يمشي في العالم المدمر، أكثر ما يشبهه صديقي. هل كانت القنبلة شديدة البرودة في الأسبوع الثاني من شهر مارس؟ أم أن جوع الأيّام الماضية هو الذي كان له أثره؟

كان بحر الشمال بعيدًا، وبدا الحصول على الطعام مستحيلًا، وكان علينا إشعال النار حتى لا نموت من البرد. دخلنا إلى مبنى تطاير سقفه وتهدمت جدرانه. كان متحفًا كبيرًا على ما يبدو، مع لوحة واحدة فقط متبقية على الحائط. صاح صديقي "هذه الفتاة بقرط اللؤلؤ"، ثم أزال العمل الفني من الحائط ووضعه على الأرض، وأعطاني ولاعة وقال: "لنشعل النار فيها. وإلا سنموت من البرد".

أخذت القداحة منه بأصابع راجفة، وقاومت البكاء لفترة طويلة، ثم قلت، "حسنًا، ما الذي سيتبقى من البشرية الملعونة على هذا الكوكب عندما أشعل النار في آخر أعمال فيرمير؟"

قال بحزم: "اللغة"، "ما زلنا نحن الاثنين فقط، أليس كذلك؟ طالما نتحدث مع بعضنا البعض، فإن اللغة تبقى حيّة أيضًا. أم تكن اللغة هي جوهر وجودنا كله؟ أليست اللغة هي أثمن تراث للبشرية توارثناه عبر الأجيال السابقة؟ أرجوك. أشعل النّار في اللوحة. وإلا فإننا سنموت حقا".

نظرتُ إلى وجه الفتاة ذات القرط اللؤلؤي، فشعرت كما لو أنّها تنظر إلي بالطريقة التي ينظر بها الرجل المدان إلى الجلاد. سقطت القداحة من يدي المخدرة على الباركيه المكسور. الآن لدي بعض الوقت لتنظيم أفكاري. هل كان صديقي يقول الحقيقة؟ هل كانت اللغة حقًّا هي أثمن شيء استطاع البشر تقديمه لهذا الكوكب في فترة وجودهم القصيرة؟ الفن إذن؟ الفن، الذي به رُفع الكائن الأكثر ذكاءً، ليجسد احتكار الله للخليقة، قبل أن يدمر كل شيء؟ هل كانت اللغة أهم من أجمل عمل تبرع به الفنان للمستقبل كبادرة اعتذار عن كل ذنوب أقرانه؟

لقد نفد صبر صديقي: أليست هذه اللوحة أيضًا التي لطخها نشطاء المناخ منذ بضعة أشهر؟ لم يكونوا أشخاصًا سيئين، لكنّهم فعلوا شيئًا ما، أليس كذلك؟ كان لديهم وجهة نظر يا رجل. تعال، أضرم النّار. إنه المساء، وسرعان ما سنتجمد من البرد!".

لقد دُمِّر العالم بأكمله في حرب نووية، وكل ما أريده الآن هو وعاء من الحساء الساخن.

جلست هناك بجسم يرتجف تثقله أحلام اليقظة عن الحساء، ، وبعد فترة، لاحظت أن صديقي قد توقف عن الإلحاح من أجل النّار.

التفت إليه. بدا كما لو أنه أحد تماثيل رودان المنحوتة من المرمر، جالس هناك، ونظرته الميتة مثبتة على وجه الفتاة بقرط الؤلؤ. كنت أعلم أنه لم يكن يتنفس، وكنت سعيدًا من أجله. كنت أكثر سعادة من الفتاة بقرط اللؤلؤ في تلك اللحظة، لأنه مع وفاة صديقي، لم يعد النقاش غير المنطقي بشأن ما إذا كانت اللغة أكثر قيمة من الفن.

نظرت إلى الفتاة ثانية لأرى أن ابتسامتها قد عادت. أخذتها تحت ذراعي وبدأت أسير مرة أخرى في شوارع لاهاي المدمرة. كان السؤال هو ما إذا كنت أمتلك القوة الكافية لرؤية بحر الشمال للمرة الأخيرة؟ ربما يجعلني الغناء أنسى كم كنت متعبًا. ترنمتُ همسًا بأغنية سمعتها منذ زمن بعيد، عن راعي غنم في جبال موطني. وسمعت صفيرًا ناعمًا يصاحب اللحن. اعتقدت أنّها كانت الفتاة بقرط اللؤلؤ. لكن سرعان ما أدركت أنّها الرياح تُصفّر لتحتفل بنهاية الأنواع الرهيبة.

إردال بلسي كاتب وصحفي هولندي معاصر من خلفية تركية، يكتب العمود الصحفي ويهتم بقضايا البيئة والمناخ.

لقطة من فيلم "السباحتان".

قصص المعاناة الساحقة تُلهم البعض تّجاريًا وتُنسيهم البعد الإنساني

ضرورات توظيف قصص اللاجئين في الأفلام

نادية بوراس

أصبحت قصص اللاجئين ـ الحقيقية ـ تتدفق من الشاشات، ويتسابق المخرجون من أجل استثمار تلك القصص في أعمالهم. لقد أصبحوا على نحو متزايد في مركز الصدارة في الأفلام، لاسيّما عندما يقترنون بقصة نجاح غير عادية. هل هذا التركيز على أن تكون لاجئًا أمر ملهم وناجح تجاريًا من جهة، ومفيد كموضوعة فنية تدر ربحًا ماليًا وعاطفيًا؟ وهل لا يزال من الضروري إظهار أن اللاجئين هم بشر وضحايا وأصحاب قصص ملهمة فقط؟

في العام 2015، فرت الشقيقتان يسرا وسارة ماردیني من الحرب الأهلية السورية. بعد رحلة محفوفة بالمخاطر من تركيا إلى اليونان، أعقبتها رحلة شاقة عبر البلقان، قبل أن تصل الأختان إلى ألمانيا. وبعد مرور عام، شاركت السباحه يسرى في الألعاب الأولمبية كعضو في فريق اللاجئين. هذه هي فحوى القصة التي اعتمدتها منصة نتفليكس Netflix لأنتاج فيلمها الجديد "السبّاحتان" The Swimmers.

تجسيد المحنة

رشا الحسين (20 عامًا)، التي فرت هي نفسها من سوريا إلى هولندا مع أسرتها في سن الحادية عشرة، بكت عندما شاهدت الفيلم. ليس لأنها وجدت الأمر صعبًا، بل لأنّها شعرت أخيرًا بأن هناك من يجسد المحنة التي مرت بها أثناء رحلة هروبها من بلدها واللجوء إلى بلد بديل. تقول: "عندما كنا في هولندا فقط لفترة قصيرة، كنت أحدى السوريات والمسلمات القلائل في مدرستي. وكنت أسمع أغلب الوقت تعليقات عنصرية، مثل "أنتِ غبية"، و "عودي إلى بلدك". لأنني لم أتحدث لغتهم. لقد أردت أن أكون شقراء بعيون زرقاء مثل الأطفال الآخرين، لكنني كنت مختلفة".

يعتمد الفيلم الفرنسي "فهيم" 2019 مقاربة مماثلة لموضوعة السبّاحتين. إذ يركز على قصة اللاجئ الشاب "فهيم" القادم من بنغلادش والذي تقدم بطلب للحصول على اللجوء في فرنسا مع والده. وقد تبين أنه معجزة وعبقرية في لعبة الشطرنج، وفي النهاية، يصل للعب مع المنتخب الفرنسي بهذه اللعبة.

التسامح أم القبول؟

إنّ هذه الأفلام مفيدة في المقام الأول لغير اللاجئين، لكن هناك كثيرين لا يزالون ينظرون إلى اللاجئين على أنهم صائدو ثروة، أو على العكس من ذلك، على أنهم مثيرون للشفقة. على الرغم من أن الكثير قد تغير في السنوات الأخيرة من حيث الفهم والوعي بموقف اللاجئين. لكن التسامح ليس هو نفسه القبول. هناك حاجة إلى مزيد من المعرفة بشأن تأثير الهجرة على حياة الإنسان. نأمل أن تهتم هذه الأنواع من الأفلام بهذا الأمر.

ترى هيلما ماس، المتحدثة باسم منظمة حماية حقوق الأطفال Save the Children، وظيفة أخرى مهمة لأفلام مثل "السباحتان" The Swimmers. إذ يمكنا أن تقدم للأطفال اللاجئين التفاهم والراحة. على الرغم من أن تأثير الأفلام على الأطفال يعتمد أيضًا على عوامل شخصية وبيئية عدّة، كما تقول. وتتسائل بحرقة: "أين الأطفال في قصص هروبهم، وما مدى نضج الجراح؟ هل كان لديهم بالفعل مساحة لمعالجة المشاعر الأولى المؤلمة أو الأكثر تأثيرًا؟ هل يتلقون الدعم؟ وما خطورة أسباب الهروب؟ كل هذه العوامل تؤثر على شعور الطفل عند مشاهدة مثل هذه الأفلام".

ومع ذلك، وفقًا لما قالته ماس، هناك خطر يتمثل في أن الطفل سيختبر الفيلم كمحفز إضافي ويعيد فحص التجربة غير السارة. لكن إذا شعر الطفل بالدعم والأمان، فإن رؤية قصة نجاح مثل هذه يمكن أن تمنحه في الواقع الأمل في مستقبل متفائل.

اللاجئ الإستثنائي

في الآونة الأخيرة، عُرض الفيلم الوثائقي "طموح أعمى" Blind Ambition في مهرجان IDFA للأفلام الوثائقية الذي غطينا جزءًا من أعماله في هذه الصفحة، في هذا الفيلم تجري متابعة أربعة لاجئين من زيمبابوي أثناء مشاركتهم في بطولة العالم لتذوق النبيذ للمكفوفين، وهي بمثابة الألعاب الأولمبية لعالم النبيذ. وبالنظر إلى موضوعة المقالة، أراني أطرح السؤال بطريقة مغايرة هنا، وهو، هل سيكون مثل هذا الفيلم الوثائقي أقل قوة أو تأثيرًا إذا لم يكن الأبطال الأربعة لاجئين؟

من دون أدنى شك كونهم لديهم ماضياً كلاجئين وأن هذا تمت مناقشته في الفيلم الوثائقي، يثير المشاعر فينا. بطريقة أو بأخرى، نتمنى أن يكون اللاجئ أكثر بقليل من شخص ليس لديه ماضي. لقد أصبح الآن فيلمًا يبعث على الشعور بالسعادة.

لقد كان منتجو فيلم "طموح أعمى" فضوليين بشأن دوافع اللاجئين الزيمبابويين "جوزيف" و"باردون" وطالما أن اللاجئ يستفيد منه أيضًا. ويظل الإنسان مهمًا بدوافعه وطموحاته وكل ما يجعله إنسانًا. وأن تكون لاجئًا ليس خيارًا طبيعيًا، بل استثناء.

انقذوا الناجين

وعلى سبيل المثال، تتردد منظمة إنقاذ الطفولة في تصنيف الأطفال على أنهم "لاجئين". وتفضل الحديث عن "الأشخاص الذين لديهم خلفية استثنائية". وفي فيلم حملتها الأخير "أحموا الناجين" Save the Survivors، لا تريد المنظمة تصوير الأطفال اللاجئين على أنهم ضحايا، ولكن كأطفال تمكنوا من النجاة من المواقف الصعبة التي مروا بها بمساعدة أشخاص آخرين. هذا يتوافق مع الصورة المرسومة في أفلام مثل "طموح أعمى". في فيلم أحموا الناجين"، يتابع المشاهد الرحلة البطولية لفتاة اضطرت إلى الفرار من بلدها مع شقيقها.

تقول هيلما ماس: "لقد سألنا العديد من الأطفال عن رأيهم في إنقاذ الناجي. فوجدوا الأمر مؤلمًا ولكنه واقعي. في لبنان، سألنا أيضًا عددًا من الأطفال الذين فروا من البلاد مؤخرًا عن رأيهم في الأمر. قال أحدهم وكان على اعتاب المراهقة: "إنهم يهربون من القدر، لكن الأسوأ لم يأت بعد".

وبالنسبة للكثير من اللاجئين الأطفال والشباب، فأن الأمر يتعلق بشكل أساس بالرحلة والحياة الجديدة التي تليها، لكن فيلم "أحموا الناجين" يتعامل مع كيفية حدوث ذلك والألم الذي يصاحبه. هذا هو التمثيل الذي كنت أبحث عنه في الواقع.

لقطة من الفيلم الوثائقي "طموح اعمى".

يظل الإنسان مهمًا بدوافعه وطموحاته وكل ما يجعله إنسانًا. وأن تكون لاجئًا ليس خيارًا طبيعيًا، بل استثناء. وغالبًا ما يتم تجاهل حقيقة أن اللاجئين كانت لهم حياة قبل الرحلة، ومهنة، وحياة اجتماعية ومصالح

و"تيناشي" و"مارلفين" للمشاركة في مسابقة تذوق النبيذ. لقد أرادوا رواية قصة من شأنها أن تلقي ضوءًا مختلفًا على حياة اللاجئين والتحديات التي يواجهونها. وأرادوا إظهار معنى "الوطن" لشخص طُرد من بلده.

يختلف الفيلم الوثائقي عن العديد من الأفلام الأخرى، حيث غالبًا ما يكون التركيز على الرحلة نفسها وعلى الحياة التي يجب بناؤها بعد ذلك. غالبًا ما يتم تجاهل حقيقة أن اللاجئين كانت لهم حياة قبل الرحلة، ومهنة، وحياة اجتماعية ومصالح. لذلك، علينا المحافظة على مسافة معينة كمشاهدين. بعد كل شيء، نحن لا نعرف سوى القليل عن الأشخاص والعوامل التي يقف وراء اللاجئ، أي لاجئ!

بالتأكيد نحن نتمنى للاجئ أن يكون أكثر بقليل من شخص ليس لديه ذلك ماض. لكن أليس هذا مجرد تأكيد للتحيز على تصوير اللاجئ الناجح على أنه "نادر" و"استثنائي"؟ وفقًا للكثيرين، فإن هذا يعتمد بشدة على رؤية المخرج والنهج المستخدم في سرد القصة.

في الفيلم الوثائقي "طموح أعمى"، يمكنك أن ترى أن أحد مدربي تذوق النبيذ حريص جدًا على جذب انتباه وسائل الإعلام. إنه يستغل حقيقة أنهم لاجئين وأنهم في دائرة الضوء.

يجب أن يكون صانعو الأفلام قد رأوا هذا أيضًا، ولا يتركون الحكم للمشاهدين الذين تجذبهم قصص النجاح لأنّها متاحة للمشاركة. كما أن التأكيد على شيء ما لا يجب أن يكون شيئًا سلبيًا. طالما تُرك المشاهد يفكر في الأمر،

محنة العراقيين والإيرانيين في الأهوار

فيلم "الرفيق الصامت" فستان زفاف مُهرّب في زمن الحرب

الطريق الثقافي ـ خاص

في فترة الغزو الأمريكي للعراق، يعبر رجل عراقي مخاضة الأهوار ومستعمرات القصب، ضمن الحدود الفاصلة بين العراق وإيران، وصولًا إلى إحدى القرى في الجانب الآخر ليلتقي بأصدقائه الإيرانيين، من أجل أن يستعير منهم فستان زفاف لعروسه.

في تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر، كان يتوجب عليه مواجهة الخنازير والأفاعي في المياه، وجنود صدام على الأرض، والطائرت الأمريكية في السماء، وكل ذلك من أجل أن يوصل ذلك الفستان إلى عروسه بأمان.

حدث ذلك بعد مرور أيّام على المواجهة بين الولايات المتحدة والعراق. أنّه شاب عراقي متحمس، سيحظى أخيراً بالمرأة التي أحبها بشغف، فيدفعه حبه وشغفه هذا إلى اجتياز الأهوار الخطرة بزورق صغير. وجهته النهائية قرية على الجانب الإيراني توجد فيها مجوعة من أصدقائه الذين يتعاملون مع البضائع المهربة، لاستعارة فستان زفاف. وهناك في القرية البعيدة الغافية على حافّة الهور، يعطيه أحد الأصدقائه المهربين فستانا سبق وأن ارتدته نساء عدّة في القرية أثناء زفافهنّ. في تلك الأثناء، وعندما يعلق الشاب العراقي ذلك الفستان الثمين على قصبتين متقاطعتين، كي لا تفسد ثنياته ويفقد بريقه، يشتد القصف الأمريكي على منطقة الأهوار، فيحاول أصدقاؤه إقناعه بعدم العودة إلى العراق، لأن الحرب قد اندلعت ولا يمكن، في جميع الحوال، إقامة حفل زفاف في ظل هذه الظروف المضطربة. لكن وعلى الرغم من توسلات أصدقائه، يقرر الشاب العراقي العودة مهما كلف الأمر، فيعلق الثوب في القارب ويغادر دون أن يعرف ماذا يتوقع.

من الفيلم:

"هذا الفستان سبق وأن ارتدته الكثير من النساء في قريتنا، هل تعتقد أنه يناسب خطيبتك؟

"نعم سيناسبها. شكرا جزيلا لك"

"إذن هيا. إسرع. هناك الكثير من الدوريات في الجوار هذه الأيام"

"لقد جازفت الآن بقدومك في وضح النهار" " لا تقلق عليه. إنه متمرس للغاية ولا يمكن أسره بسهولة"

"قل لي، كيف هوالأمر عبر الحدود؟"

"يقولون ان الطائرات الأمريكية تحلق فوق العراق بشكل متكرر وقصفت أغلب المدن".

"انظر! لا أريد التدخل.. لكن ألا تعتقد أنه ليس الوقت المناسب للزواج؟"

"أقصد في حالة الحرب هذه!"

قضينا أيّامنا كلها حرب في حرب، فمتى يمكننا العيش، متى يمكننا الزواج، متى يمكننا الإنجاب"

"منذ أن وعينا على الدنيا ونحن في حرب"

"وداعا إذن.. كن حذرًا"

"وداعا يا صديقي. أدع لي"

الدورية العراقية:

"اللعنة.. لقد علق المحرك في القصب ثانية، على أحد النزول إلى الماء وتخليصه"

"لا تقلق، سأصلحه الآن"

"إنتبه.. شيء يسطع هناك"

"إين تقصد؟"

"هناك. من بين القصب"

"لا أرى شيئًا"

"أششش.. أصمت.. أصمت"

"من هناك؟.. من هناك؟"

"لا تضيعوا وقتنا، لا شيء هناك، فلنذهب.. هيا هيا"

الرفيق الصامت (همسافر خموش)

سيناريو وإخراج: إلهام حسين زاده

تصوير: رضا روشان

الصوت: رضا علي زاده

الممثلون: توفيق ساكي، سلمان روشان زاده، وهاب زرغاني

إنتاج: الهام حسين زاده

ولدت إلهام حسين زاده في العام 1970 في الأهواز. تخصصت في وسائل التواصل الاجتماعي وحصلت على درجة الماجستير.

بدأت حياتها المهنية كصحفية في الصحف الإيرانية، باحثة في القضايا الاجتماعية وأستاذة للصحافة في الجامعة. صنعت مجموعة من الأفلام الوثائقية والقصيرة.

إلهام حسين زادة

الفن التشكيلي التونسي

ليس للجمال وجود خارج منطقة الرؤية الخلاقة

الفنان حمدة دنيدن مع احد أعماله.

شادي الزريبي

الخط يتمايل بين ضربات الفرشاة حتى يخضع لإرادة الفنان التشكيلي، وهو يداعب لوحته ويراهن على خياله الفيّاض... التشكيلي هذا الإنسان المُنصت للألم والحالم بالأمل واللاهث وراء الجديد وغير المألوف. هذا الخلاّق الفاعل في النفوس والمؤثر في الحياة. حين تنظر إلى لوحة تشكيلية تتراءى أمامك الرموز والأخيلة والتأويلات والانفعالات. آهات وصمت مُحيّر وربما ضوضاء صاخبة وهمس خافت وصراخ عال. مشاهد وألوان وظلال وبدايات ونهايات، كلها تظهر في هذه اللوحة أو تلك حسب مزاج الفنان ورؤاه ومعتقداته وخلفياته وثقافته ونظرته إلى المستقبل.

الفنانة هاجر زيدان.

آمال الزعيم.

كلنا يعشق الجمال في كل مظاهره، وجميعنا يتفاعل مع الخطوط والإبداع حين تكتمل اللوحة فتستوي أمام الناظر وتدبّ فيها الروح فتنهض بعد موتها لتزفّ إلى الناظر بهجة ومسرّة قلّما يفهمها الإنسان العاديّ... "الطريق الثقافي" حلقت مع مجموعة من الفنانين التشكيليين التونسيين لتنصت إلى أحلامهم وتنقل أحاسيسهم وشعورهم بالحاضر مستشرفة معهم بعض النظرات الوردية... إلى الأمام وإلى المستقبل... كيف سيكون يا ترى المشهد التشكيلي التونسي؟ وما هي أهم الصعوبات التي يجدها هذا الفنان أو ذاك؟ كل هذه المواضيع وغيرها تجدونها في هذا التحقيق حول واقع الفن التشكيلي في تونس، آفاقه وصعوباته.

التشكيلي د. خليل قويعة:

رؤية الفنان هي ما يؤسس في الأشياء بعدها الجمالي

الفنون التشكيليّة في تونس هي امتداد شرعيّ لحركة التّحديث منذ بداية القرن العشرين وكذلك امتداد شرعيّ للتراث الحِرفي القديم في مجالات الفنون الرّومانيّة والقرطاجيّة والبربريّة والعربيّة الإسلاميّة. ومن ذلك نذكر الفسيفساء، حيث لتونس أكبر رصيد من القطع الفسيفسائيّة في العالم، ونذكر أيضا فنّ النّسيج البربري وفن المعمار العربي الإسلامي وفنون الخط والزخرفة، دون أن ننسى الأرسومات الزّجاجيّة التي انتشرت منذ النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين.

وعديدون هم الفنانون التونسيون الذين خاضوا مثل هذه المعركة، معركة البحث الدؤوب من أجل تحرير الشكل الفني من مرجعياتها الحكائية والتمثيلية المتوارثة والمشاركة في تحوّلات الثقافة التشكيلية. إذ ما من شك أن رؤية الفنان هي ما يؤسس في الأشياء بعدها الجمالي وليس للجميل وجود في حد ذاته خارج منطقة الرؤية الخلاقة. فالفنان هو من يكتشف في الشيء جماليته ويؤسس فيه موضوعا لمتعة فنية ممكنة يظلّ يلهث وراءها طوال حياته.

حريّ بنا أن نلحظ لوحتين كبيرتين يحتلان حيزا مهمّا في مشهد الفنون التشكيليّة بتونس وهما لوحة "المدينة" ولوحة "العلامة الرمزيّة"... وكان الفنانون قد راهنوا من خلال هذين اللوحتين على التفعيل الإبداعي للتراث... ولن يتسنّى لهذا التوجه التفعيلي أن يتحقّق دون تمثل أشكال التراث داخليا وهضمه في ثنايا الأنا الذاتية للفنان... وهو أن يصبح الهمّ التراثي منطلقا لإثارة هاجس حداثي متوثب وحالة من حالات الذات التي تهيم داخل المنظومات الرمزية الموروثة وتعيد إنتاجها استيهاميّا من داخل المناطق اللاّمغزوة للذّات، قبل إنشائها فنيا وجماليا. بهذا الشكل يتسنّى للتراث بوصفه مادة جماعيّة وسوسيو-ثقافية، أن يكون أثناء العمليّة الإبداعيّة، أحد مقوّمات الحقل الذاتي المتفرّد للفنّان.

ولكن "المدينة" قد أصبحت لدى الكثيرين إغراء من إغراءات سوق الفنّ والتزويق، وهاجسا يسكن الفنان، يرتّب سيولة مخياله في متاهات من الأنهج والأزقّة التي يحيل بعضها إلى بعض ثمّ يحدّدها بجدران سميكة وذلك عوض أن تكون المدينة فضاء نسكنه ونهندسه باستمرار. فهل ستجد اللعبة التشكيلية حلها المنشود داخل المنظومة الثقافية لقماشة العلامات والرّموز؟

أجل، لنا في تونس العديد من الفنانين الذي تعاملوا مع التراث الرّمزي وعملوا على تفعيله إبداعيا وأدرجوه داخل الزمنيّة الأسلوبيّة الخاصّة بالظروف الذاتية للعمليّة الإبداعية. وبالتوازي، انفتح هذا الاشتغال التشكيلي على ما هو عجائبي وحكائي في المدونة الرمزية وهو مسار طبيعي نظرا لوحدة البيئة المخيالية والمرجعية لشجرة الثقافة وتماهي جذورها الرمزية مع تفرعاتها الحكائيّة.

ولكن كم من عمل فني يتحوّل إلى شاشة سرديّة ويصبح بمثابة تصورية سياحية تعكس تراكمات الذاكرة وتشدّ الرؤية الفنية إلى المدوّنات الرمزية المشحونة بسحر الأسطورة الشفوية. وهنا يركن الفنّ إلى ما ليس من الرؤية البصريّة والقاموس التشكيلي في شيء ويظل الشكل الفنّي أسيرا للمعاني أو الرمز الجاهز.

الفنان هو من يكتشف في الشيء جماليته ويؤسس فيه موضوعا لمتعة فنية ممكنة يظل يلهث وراءها طوال حياته

وهكذا، كان لا بد من رسم لوحة ثالثة يزدهر بها المشهد، وكان لا بد من نشوء تيار آخر يواكب راهنية حركات الفنّ في العالم وتحولاتها وفي نفس الوقت يشارك في صناعة الصيرورة الثقافية للنشاط الفنّي التونسي ويستشرف آفاقها القادمة ذلك هو مدار لوحة "التشكيل الخالص" (Plasticisme pur) وهو عين ما راهنت عليه عديد التجارب الفنية التونسية.

ولقد وردت المشاركات في رسم هذه اللوحة الكبرى من التنوع الأسلوبي والاختلاف التقني بحيث يصعب العثور على خيط سري رابط... على أنّه يمكن القول إن مثل هذا التنوّع يعكس هاجس البحث والمغامرة

الفنان إبراهيم العزابي مع أحد اعماله الفنية.

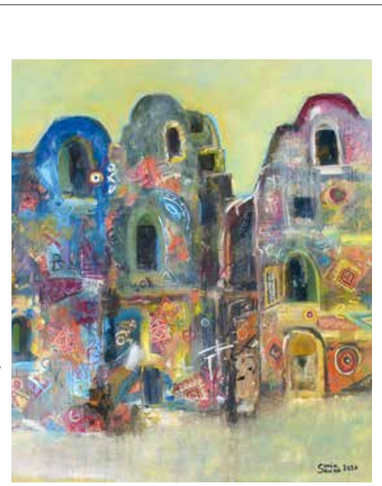

من اعمال التشكيلية سنية السويسي.

الفنانة سنية السويسي.

من اعمال الفنانة آمال الزعيم.

والاختلاف لدى العديد من المبدعين الذين ساهموا إلى حدّ كبير في إثراء المشهد التشكيلي على الأقل في السنوات العشر الأخيرة.

إنّ هذه اللوحة الثالثة تمثل بامتياز، واجهة ثريّة من واجهات النشاط الفني بالبلاد وتعكس قدرة الفنان التونسي على مواكبة تطوّرات تاريخ الفنّ الراهن في العالم وغير ذلك من الرهانات الكبرى، من أجل تطوير الخطاب الجمالي في الساحة التونسية. وبقدر حاجتنا إلى فنّ استشرافي يواكب تحوّلات الثقافة الإبداعية ويساهم في صناعة الرؤية الجمالية القادمة ويشارك في تجسيد تطلعات الإنسان إلى قيم الحق والخير والجمال، بقدر حاجتنا إلى تعميم الثقافة الجمالية عامة والتشكيلية بصفة خاصة، وتساهم التظاهرات الفنية إلى حدّ كبير في تحقيق هذه الحاجة الثقافية، إذ هي فعل يومي مستمر يثير هاجس البحث ويستفز في الإنسان تطلعاته الجمالية من أجل حيويّة الحياة وطبيعية الطبيعة ومدنيّة المدينة.

وفضلا عن التظاهرات الفنية، تبقى الحاجة ملحّة إلى تنشيط دوائر التفكير في قضايا تخص قطاع الفنون التشكيلية بتونس. ومن ذلك قضيّة النقد الفني بوصفها معادل جدلي مشروط للنشاط الإبداعي، وقضية سوق الفنّ و"ترويج" العمل التشكيلي ووضع الأدوات المفاهيمية والنظرية الكفيلة بتوضيح العلاقة بين الإبداعات التشكيلية والمنتوجات الابتكارية والحرفيّة.. دون أن نغفل عن ضرورة تشريك الفنانين في صياغة البيئة الحيّة وواجهات المدن.

ولا يفوتنا أن نؤكد على أن تاريخ النشاط التشكيلي التونسي يستأهل فتح متحف وطني يشهد على مساراته ويمثّل مرجعا للفنّانين والباحثين والنقاد والمؤرخين والطلبة ووجهة للسياح وأحباء الفنون

على الفنان المشاركة في المعارض والمتاحف العالمية، وهذا ما يثري تجربته الشخصية ويعرّف بالفن التشكيلي

وهل تأت حركة الفن التشكيلي التونسي للسيّاح وأحبّاء الفنون، ويجعل رصيد الدولة من الأعمال الفنية جليّا وكذلك الحركات الفنية والأدبية في وفي متناول كل الشرائح... كما يمكن العالم العربي إلا بعد الانفتاح على للمتحف أن يساهم في توسيع دائرة الغرب وما أحدثه هذا الانفتاح من جمهور الفنون التشكيلية بتونس. صدمات قبل الاستعمار وأثنائه. ورغم بل من شأن المتحف أن يخدم العمل حداثة سنّه استطاع الفن التشكيلي الفنّي بأن يؤهّله من خلال عمليّة التونسي أن يراكم تجارب متعددة العرض لخوض دورة تواصليّة يتجدّد انطلاقا من تجربة مدرسة تونس وقد من خلالها باستمرار ويحيى في الزمن انخرطت مؤسسة الثقافة والمنظمات التاريخي. ومن ثمّة، يتسنّى للعمل غير الحكومية بعد الاستقلال في بلورة الفنّي أن يكون مستندا للضمير الثقافي ومساهما في خلق ما تحتاجه الصيرورة الاجتماعيّة من قيم ومعان... ولا بدّ من مراجعة السّياسات الثقافيّة والترسانة التشريعيّة لمواكبة ثراء التّجارب الإبداعية لدى الفنّانين التّونسيّين والتّطوّرات التي شهدتها منجزاتهم في هذا المجال.

وفي المحصلة، فأنّ تاريخ النشاط التشكيلي التونسي يستأهل فتح متحف وطني يشهد على مساراته ويمثل مرجعا للفنانين والباحثين والنقاد والمؤرخين والطلبة ووجهة للسياح وأحباء الفنون

التشكيلية هاجر ريدان:

لا نجد صدى لهذا الفن عند عامة الناس

إن بدايات الفن التشكيلي التونسي تعود إلى القرن التاسع عشر فهو إذن فن حديث رغم المخرون القديم للحضارة العربية والإسلامية وما رافقه من جدل حول التحليل والتحريم ورغم انحساره في مجالات محددة لا تتجاوز المنمنمات واستثمار الخط العربي بحثا عن أبعاد جمالية فنية وتحقيقا لهدف وهو الانتصار للنص المقدّس .

من اعمال الفنانة هاجر زيدان.

رؤية تجديدية لهذا الفن من خلال وضع القوانين والتشجيع على فتح الفضاءات المخصصة للغرض وإدراج الفن التشكيلي كمادة في المدرسة العمومية كل ذلك أصبح الآن غير كاف ولنقل تجاوزه الزمن .

ورغم المحاولات المتفرقة جماعية أو فردية بعد الثورة والتي تسعى إلى جعل الفن متاحا للجميع فإن ذلك لم يمنع بقاء هذا الفن -مقارنة بالفنون الأخرى- الأكثر تهميشا، وذلك للعديد من الأسباب، وهي:

أولا لانحساره دائما في فئة معينة ونخبة محددة لا تجد لها جسورا تربطها بشرائح المجتمع المختلفة. فالفنان مطالب بالانخراط الفعلي والعملي بين الشباب والأطفال في مختلف المؤسسات التربوية والثقافية.

ثانيا لا نجد برامج تلفزيونية ولا إذاعية متواصلة ومتخصصة تذيع مشاغل هذا الفن وتعرّف بالفنانين والفنانات ولا نجد إعلاميين متخصصين ينقلون التظاهرات والمعارض التشكيلية بحرفية. وبالتالي لا نجد صدى لهذا الفن عند عامة الناس هذا الذي من شأنه أن يدعم ثقافة فنية تشكيلية تحتاجها المجتمعات التي تروم البناء والتطور.

ثالثا القوانين التي تنظم القطاع هي أكثر معرقل لتطور الحركة التشكيلية فهي قوانين مجحفة وبالية فنحن نحتاج إلى استراتيجية واضحة تقوم على المراجعة والتحيين في ظل تغييرات العصر وتطور الوسائل التكنولوجية. من بين هذه القوانين ما يتعلّق بإحداث أروقة لعرض الأعمال الفنية ومنها ما يتعلق بحقوق الفنان وخاصة حقه في نقل أعماله إلى الخارج للمشاركة في التظاهرات الدولية والعالمية. وأيضا حقه في الدعم من طرف الدولة حتى يستطيع العيش من فنه ولا يلجأ إلى مورد رزق آخر يلهيه عن الإبداع.

رابعا مراجعة برامج تدريس مادة التربية التشكيلية في الإعدادي والثانوي وحتى الجامعي نظرا إلى لما نلاحظه من انهيار واضح للمنظومة التي لم تعد قادرة على تكوين المشرفين وبالتالي غير قادرة على ترسيخ ثقافة تشكيلية بين الطلاب وهذا ما يعمّق الهوّة بينهم وبين الفنان بشكل عام .

هذا ما يجب الاشتغال عليه حتى ننهض بالفن والثقافة عموما لأنها المدخل الأوحد لتطوير المجتمع وتحقيق إنسانية الإنسان في عالم متغيّر على الدوام .

إبراهيم العزابي:

قطاع الفنون الجميلة كان من أنجح القطاعات الثقافية

الحركة الفنية التشكيليّة منذ الستينات إلى اليوم عرفت نموّا تدريجيّا، فقد كانت فترة الستينات من القرن الماضي المنطلق الحقيقيّ، حيث تكوّنت مجموعات فنيّة تحمل رؤى وتصوّرات جديدة للممارسة الفنيّة، من بين هذه المجموعات: مجموعة "السبعة" ومجموعة "العشرة"، وقد وجد أصحابها مضايقات من جيل الروّاد الذي هيمن على الساحة الفنيّة إلى حدود السبعينات.

لا يمكن أن نفهم التطوّر الذي عرفته الحركة الفنيّة التشكيلية في تونس دون الرجوع إلى التعليم الفنّي، ومدرسة الفنون الجميلة بالذات، والتي تحوّلت في سنة 1973 إلى "المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة والمعمار بتونس"، حيث وقع إرساء مناهج تعليم حديثة، فكان أن التحق خرّيجو المعهد في منتصف السبعينات بباريس لمواصلة تعليمهم العالي هناك، ثم رجعوا للتدريس بالمعهد وتكوين الأجيال الجديدة من الطلبة الذين التحقوا بالمعاهد الثانوية لتدريس التربية الفنيّة. ثمّ وبعد تأسيس أربعة عشر معهدا للفنون والحرف بكامل الجمهورية التونسية في التسعينات، وراج في ذلك الوقت أنّ قطاع الفنون الجميلة كان من أنجح القطاعات الثقافية، وقد ارتقى مستوى الرسامين إلى الأحسن وبرزت بالتالي العديد من الرسامات في تونس وخارجها، حتى فاق فيها عدد الفنانين التشكيليين اليوم الألف. وحين كنت أمينا عامّا لاتحاد الفنانين التشكيليين سنة 1987 كان عددهم ستون فنانا بما فيهم أعضاء مدرسة تونس.

بعد ثورة 2011 تأسست جمعيات جديدة ونقابة للفنانين التشكيليين ممّا أدخل حركية وتنافسا. وقد كان للرابطة التونسية للفنون التشكيلية دور مهمّ في توعية الفنانين وحثّهم على المطالبة بحقوقهم، وكان هذا من خلال ندوات علميّة، الندوة الأولى التأمت في نوفمبر 2011 بسوسة، وكانت تنادي بضرورة تأسيس سوق فنيّة، ثمّ تتالت الندوات، ولعلّ أهمّها سنة 2015 ، والتي حملت عنوان "التأسيس والتشريع في الفنون التشكيلية: ورقات من اجل المستقبل"، وجاء في ورقة هذه الندوة: "إنّ الحاجة ملحّة لتأصيل قطاع الإبداع التشكيلي والمساهمة في تنزيله المنزلة الملائمة، وذلك لتأكيد الوجود الفاعل داخل مسار التنمية الثقافية والاقتصادية بالبلاد... الفنان هو عنصر فاعل في هذا المسار وأحد مقوّماته". لقد كان حلمنا إدماج الفنّ في الدورة الاقتصادية لكن جهودنا ذهبت مع الريح ، ولكن ذلك لم يمنع مجموعة من الرسامين من مواصلة ممارستهم للفعل الإبداعي.

ولم تستجب وزارة الإشراف ولم تول أيّ اعتبار لهذه الندوات، وهذا لم يمنع الفنانين من الاستمرار في الاحتجاج وفي ممارسة فنّهم، والنقّاد الفنيون الباحثون الذين ظلوا لسنوات طويلة يناضلون لتوعية الفنانين، وقد توصّلوا إلى التألق على المستويين العربي والدولي في السنوات الأخيرة، وخصوصا سنة 2022، أذكر من بين هؤلاء الفنان والناقد الفني والباحث د. خليل قويعة والفنان الباحث والناقد الفني سامي بن عامر.

حمدة دنيدن:

قطاع يسير نحو المجهول وبلا طرق للتطوير

لقد تفاقمت مشاكل الفن التشكيلي التونسي في منظوري لعدّة أسباب لعلّ أهمها: غياب الحوار مع سلطة الإشراف، وإذا أردنا النهوض بهذا القطاع الحيوي لما يحمله من مشاكل عدّة لعلّ أبرزها تفرّد سلطة الإشراف بالقرار، لذلك وجب إعادة النظر في السياسة المعتمدة التي تعدّ روتينية وإدارية لإسكات الأفواه، مع وجوب إعادة النظر في سبل تسيير صندوق النهوض بالقطاع الثقافي والذي أصبح يستغلّ استغلالا فاحشا من قبل مجموعة تريد تحقيق من خلاله مصالح شخصية دون الاهتمام بجانب المردودية. ومن جهة أخرى، وفي ذات السياق، لقد كثرت المهرجانات التشكيلية، دون مراعاة الجانب الإبداعي والكيفي، والتي تصرف لأجلها أموالا ضخمة، وأنا أعتقد أنّ هذه السياسة فاشلة، وهي لن تؤدّي إلى الغايات المرجوة للنهوض بهذا القطاع الهامّ.

أنا أعتقد أن هذا الميدان كان أفضل حالا وأرقى في السنوات الماضية، وهو يسير نحو المجهول في ظل المشاحنات والمحسوبية، هذا بالإضافة إلى تطفّل البعض على هذا الميدان، لهذا أنا أطلب بإجراء حوار مستقلّ ومطوّل ونزيه، وفي رأيي الخاصّ يجب أن تقوم ثورة ثقافية بعيدا عن النزاعات السياسية الجوفاء، وربما حينها يمكننا الحديث عن تطور لقطاع الفنّ التشكيلي.

والجدير بالذكر أنّ هناك تصنيفات عدّة للفنون يصعب أن تحيط بها، لكنها في صورتها النهائية كما وصلت إلينا في القرن العشرين تقوم كما يقال على ثلاثة افتراضات أساسية:

1) أن هناك منظومة محددة للفنون جمعاء.

2) أن هناك تفرقة واجبة بين الفنون والحرف والعلوم.

3) أن الفنون تتميز بأنها تبحث عن الجمال، وتحاول أن تصل إليه، وأنّ الفنّ يشتمل على كل الأنظمة أو المجالات الإبداعية مثل: الشعر والدراما والموسيقى والفنون البصرية، وتشتمل هذه الأخيرة على كلّ النشاطات الإبداعية التي تسعى إلى توصيل رسالتها أيّا كانت من خلال مخاطبة أشكال فنية أساسا.

كما أنّه يمكن تقسيم الفنون البصرية إلى ثلاث فئات رئيسية هي: التصوير والنحت والعمارة، وبالطبع يمكن تقسيم كل فئة من الفئات الأخيرة إلى أنواع فرعية أكثر تحديدا.

من اعمال الفنان إبراهيم العزابي.

أنا أعتبر أنّ الأسلوب القيمة الثابتة للفنان وبصفة عامة دون الأسلوب الشخصي يُعتبر الإنتاج الفنّي دون هُوية لا قيمة له.

قي التراث اللغوي العربي تُطلق كلمة الأسلوب على الطريق إذا امتدّ على استقامة واحدة. فكلّ طريق ممتدّ هو أسلوب كما يشير الزبيدي غي كتابه "تاج العروس"، ويقول الزمخشري في أثره "أساس البلاغة"، "سلكت أسلوب فلان أي طريقته"، ومن هنا جاءت تسمية العرب للسطر من النخيل، "ليس الأسلوب إلا النظام والحركة اللذين يضع المرء فكره في إطارهما، فإذا ما قيّدهما وضيّقهما فسوف يكون الأسلوب معلّقا ومتوترا ومقتضبا، وإذا ما تركهما تتوالى حركتهما في هدوء ولا يلحق بهما إلا ما كان وثيق الصلة فسوف يكون الأسلوب سهلا ومسترسلا".

آمال زعيم:

غياب لإستراتيجية للنهوض بهذا القطاع

أتحدث إليكم باعتباري فنانة تشكيلية تونسية مستقلة ولي تجربة في هذا الميدان لأكثر من ثلاثة عقود، فأقول: يعاني ميدان الفنون التشكيلية من العديد من المشاكل الهيكلية والتنظيمية، هذا بالإضافة إلى تهميش من قبل مصالح الدولة، وغياب لاستراتيجية للنهوض بهذا القطاع الذي يشهد تراجعا كبيرا على كل الأصعدة، ذلك القطاع الذي كان يعتبر رائد في مجاله على مستوى العالم العربي.

يشكو قطاع الفنون التشكيلية احتكار من قبل بعض الجمعيات التي تعدّ على أصابع اليد الواحدة في إقصاء واضحا للفنانين التشكيليين المستقلين، إضافة إلى تحديات العودة إلى عمل الثقافي بعد جائحة الكورونا، وفي هذا الوضع يجد الفنان نفسه في صراع مع الظروف الحياتية المتردية وأشباه الفنانين الذين هم بصدد تعويم القطاع ومحاولة تحجيمه لجعله مجرد تزويق وديكور.

ألاحظ كذلك محاولة مستميتة لاستبعاد الفنانين التشكيليين العصاميين من المشهد الثقافي، وفي هذا الإطار أنا أتساءل هل يولد الإنسان فنانا بالفطرة أم أنّ هذا يتطلب بالضرورة تكوينا أكاديميا؟

هنالك أيضا معاناة أروقة عرض الفنون التشكيلية العمومية منها والخاصة نظرا إلى غياب التشجيع والشفافية.

نطالب نحن الفنانون التشكيليون العصاميون المستقلون بالتسريع في تفعيل قانون الفنان وتمكينه من أبسط حقوقه في بطاقة احتراف وظروف تقاعد وعلاج محترمة.

سنية السويسي:

لابد من تحيين أو استبدال القوانين المنظمة للقطاع

في البداية لابد من التنبيه أنه لا يمكن الحديث عن ساحة تشكيلية دون استراتيجية ومشروع ثقافي وطني ديمقراطي تتيح للفنان التشكيلي فرصة تطوير تجاربه إلا بتحيين أو استبدال تلك القوانين المنظمة للقطاع والتي نعتبرها بالية وغير مواكبة للعصر فاغلب القوانين والأوامر التي تنظم القطاع ترجع إلى ستينات والسبعينات من القرن الماضي.

كما يجب في الإطار ذاته التوجه نحو وضع حدّ لهيمنة أي جمعية مدنية على القطاع والتي لا تدافع إلا على مصالحها الضيقة (فردية وعائلية وأكاديمية).

والحقيقة أنّ قطاع الفنون التشكيلية في تونس يعتبر ثانويا ولا يحظى بالعناية الكافية المرجوّة، ولقد كشفت أزمة جائحة الكوفيد 19 وعرّت هشاشة وضع الفنان التشكيلي في تونس حيث يجد الفنان التشكيلي نفسه في وضع اجتماعي ومادّي صعب .

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه من شروط الحصول علي شهادة احتراف الانخراط في جمعية فلماذا يجب ان يكون هناك وسيط بين الفنان وسلطة الإشراف، مع العلم أنّ هناك إدارة للفنون التشكيلية، لذا أتمنى أن يتمّ تحيين الشروط والقوانين لأجل تعاط عادل للإدارة مع الفنانين ليكونوا سواسية حتى يتمّ سحب بساط الهيمنة والتغوّل المادي والمعنوي.

كما أودّ أن أنادي بضرورة دعم الفنانين الشباب، وتحفيزهم، ونشر أعمالهم وترويجها، وكذلك تمكين الفنانين من المشاركة في برامج إقامات فنية في الداخل والخارج، وأن تقدّم لهم أشكالاً متعددة من الدعم لعرض أعمالهم الفنية محلياً ودولياً.

كما أني أطالب بإلغاء لجنة شراء الأعمال الفنية التي كرست مبدأ المحاباة والصداقة والقرابة والسمسرة من قبل بعض الجمعيات، الأمر الذي أدّى إلى ظهور أشباه فنانين لا يعملون ألا لوحة واحدة في السنة تقتنيها اللجنة، وهذا ما يطرح العديد من التساؤلات حول كيفية تعامل لجنة الشراءات مع الأعمال الإبداعية.

والحقيقة أنا أرى أنه من الضروري أن يقع دعم الفنان الحقيقي بمساعدته ودعمه بأدوات عمله، وتأثيث ورشته خاصة أمام ارتفاع الأسعار التي تشهدها سوق الفنّ التشكيلي. كما نطالب بنشر الأعمال وترويجها وتمكين الفنانين من المشاركة في برامج إقامات فنية في داخل تونس وخارجها، وأن تقدّم لهم أشكالاً متعددة من الدعم لعرض أعمالهم الفنية محلياً ودولياً.

والحقيقة أن على الفنان أن ينفتح على السوق العالمية حتى يتمكن من المشاركة في المعارض والمتاحف العالمية، وهذا ما يثري تجربته الشخصية ويعرّف بالفن التشكيلي التونسي في المحافل الدولية التي هي مطمح كل فنان صادق ومحترف.

وأنا أرى أنه ليس كل مشتغل بالفن التشكيلي يمكن وصفه بالمبدع، إذ نادرا جدا ما تذهب التكريمات إلى أصحابها الحقيقيين من الأسماء الثقافية والفكرية التي قدّمت تجارب محترمة ومسيرة طويلة تستحق العرفان، وحتى الشباب الذين يجتهدون لتقديم الإضافة في مجالات مختلفة، لا يحصلون على الاعتراف ولا التشجيع مادام الكثير من الأشخاص في مؤسسات رسمية وغير رسمية، كانوا يضعون معايير التكريم على أساس ضيق، يمنح الشرعية للشللية والمصالح وتقديم الخدمات المتبادلة على حساب التقدير المعنوي لصفة المفكر والمبدع والمثقف، وللتجارب المشرّفة.

وختاما أنا أطالب بالتسريع في تفعيل قانون الفنان الذي يحدّد مهامّ الفنان ودوره، ويضبط الحقوق والواجبات. والذي من شأنه أن يحفظ له كرامته، ويعزّو من قيمته كمبدع له جميع الحقوق في الانتشار والتعريف بأعماله وضمان العيش الكريم في بلاد تسعى إلى النهوض بهذا القطاع رغم وجود العديد من العراقيل التي تعترضها.

من أعمال الفنان مدة دنيدن

العمل الفني يعكس تراكمات الذاكرة وتشدّ الرؤية الفنية إلى المدوّنات الرمزية المشحونة بسحر الأسطورة الشفوية

الإبداع والصحة النفسية

حالة كورت

ماجد الياسري

اتسعت البحوث التي تسعى لاتباع المنهج العلمي في دراسة الجوانب النفسية لعملية الابداع وخاصة في العقود الأخيرة نتيجة التطورات الهامة في علوم الجينات وتعمق فهم طبيعة نشاط الدماغ الوظيفي. وقد جرى بعضها من فرضية مفادها عدم وجود علاقة مباشرة بين الابداع والصحة النفسية. وكان العالم النفسي الأمريكي جوي بول كيلفورد (1978-1879) اول من اعتبر الابداع أحد اهم نشاطات الانسان العقلية ذات التأثير المجتمعي العالي ودعا الى استخدام القياسات النفسية للدراسة الموضوعية للإبداع الذي يتميز بقدرة الفرد على إعطاء تصورات مختلفة ومتباينة في موضوع محدد.

اما على صعيد العلاقة بين الابداع والاعراض النفسية فقد كانت هناك العديد من البحوث من أهمها على سبيل المثال انجاز الطبيبة الاكاديمية النفسية الامريكية ذات البحوث المعروفة عالميا عن مرض الشيزوفرنيا. وقد بدأت اندرسون حياتها الدراسية في جامعة أكسفورد عن الادب الإنكليزي ودخلت بعدها كلية الطب ومن ثم تخصصت في الطب النفسي والسريري وكانت معجبة بالأدبية الامريكية سلفيا بلاث (-1932 1963) التي انتحرت بعمر الثلاثين بعد محاولات عدة. وكانت المقاربة التي اتبعتها مقارنة مجموعتين حول نسب الإصابة بمرض الكآبة وثنائي القطبية بشكل خاص شملت ثلاثين كاتبا من المنتمين الى ورشات للكتابة الإبداعية تنظمها جامعة أيوا تقابلها مجموعة أخرى من الاصحاء تم اختيارها بشكل عشوائي ونشرت نتائجها في التونسي في المحافل الدولية التي هي مطمح استنتاجاتها في عام 2014 بالنقاط التالية:

أولا: معظم المبدعين أذكياء ولكن بعد مستوى معين لا توجد علاقة بين الابداع ونسب الذكاء العالية كما تم قياسها باختبارات الذكاء والابداع.

ثانيا: يحب المبدعون عملهم الإبداعي ولذلك يعملون بجدية وساعات أطول من الشخص الاعتيادي.

ثالثا: المبدعون لديهم نزوع للكشف عما هو جديد وحب الاستطلاع والمخاطرة خاصة لدى المبدعين في ميدان العلوم.

رابعا: القابلية على مواصلة نشاطهم الإبداعي على الرغم من الشكوك بقدراتهم والرفض العائلي والمجتمعي لتوفر قناعة ذاتية عالية بقيمة نتاجاتهم تدفعهم الى المواصلة والاستمرار على المعوقات النفسية الذي يتجلى على شكل اعراض توتر وقلق أو كآبة. وقد يؤدي الى تعاطيهم الكحول والادوية ذات المؤثرات العقلية أو المخدرات. وكمثال حالة الرسام الانطباعي فان جوخ الذي حظى بدراسات عدة عن حياته النفسية والإبداعية والذي ترك 850 عملا اغلبها في السنتين الأخيرتين قبل انتحاره.

خامسا: يسبق اللحظة الإبداعية او انفجار المبدع جهد غير قليل من التأمل والتحضير وفترة من احتضان الفكرة حتى تتجلى على شكل منتوج مميز فيما يطلق عليه بالإنكليزية لحظة اليوريكا.

سادسا: العديد من المبدعين يعلمون نفسهم ذاتيا وليس في مؤسسات تعليمية

سابعا: المبدعون عادة يتصفون بتعدد الاهتمامات .

ما بعد الخيال

ومن المبدعين الذين اهتمت بهم الباحثة أندرسون هو الكاتب الأمريكي المعروف كورت فونيكيت (2007-1922) الذي شارك في بحثها وهو من مدرسة كتاب ما بعد الحداثة والخيال العلمي في أمريكا. وتميز بأسلوبه الساخر وترك خلفه 14 رواية وثلاث مجموعات من القصص القصيرة وخمس مسرحيات إضافة الى خمسة إصدارات غير روائية. وقد حصل على شهرة واسعة بعد نشره روايته السادسة في 1969 "مسلخ اللحوم رقم خمسة" حول الحرب الفيتنامية.

ومن الحوادث الحياتية التي مر بها هو انتحار والدته في 1944 ومن ثم اعتقاله كسجين حرب من قبل الجيش الألماني وتعرضه الى قصف الحلفاء لمدينة درسدن الألمانية لأيام عدة حتى تم تدميرها بالكامل وتمكن من النجاة بالاختباء في مخزن مبرد للحوم. وقد نشر أول رواياته في 1952 بعنوان "عازف البيانو" عن مصنع تحل فيه الروبوتات محل الانسان والتي هي تعبير عن كراهيته للمكارثية التي استهدفت المبدعين في الولايات المتحدة خاصة من حملة الفكر اليساري والمناهضين للحروب. وتضمنت مقارنة بين قصف درسدن التي ذهب ضحيتها 35000 ضحية وهيروشيما، وقد حظر وضعها في عدد من المكتبات العامة والمدرسية ووصفت بانها معادية لأمريكا والمسيحية. وكان كورت يعاني من مرض الكآبة المزمن ويتعالج باستخدام العقاقير والعلاج النفسي وحاول الانتحار في عام 1984. وكان اخر ما نشر له "رجل بدون وطن" في 2005 وهو مجموعة مقالات سياسية وأدبية تضمنت نقدا لاداره جورج بوش الابن. وتوفي نتيجة حادث أدى الى إصابة دماغية في 2007. وقد حاز كورت على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية كما اطلق اسمه بعد مماته على نيزك فضائي أيضا على احد الاخاديد في كوكب عطارد. على صعيد حياته الروحية وصف كورت نفسه ملحدا متعاطفا مع خطب المسيح الداعية للحب والمساواة التي كان المحافظون في فترة إدارة ريغان يعتبرونها اشتراكية وشيوعية ومعادية لأمريكا، وأيضا مع الذين يلجأون الى الدين للحصول على الراحة النفسية. ويعتبر كورت نفسه من دعاة الإنسانية وضد انتشار السلاح النووي، ولكنه ادان العنف الذي مارسته الديانة المسيحية في فترات هيمنة الكنيسة والحروب الصليبية وانعكست الإشارات الدينية في العديد من رواياته وكتاباته. وسياسيا وقف بالضد من الاتجاهات الحزبية الرئيسية في أمريكا التي اتهمها بتكريس الداروينية الاجتماعية، وكان متعاطفا مع الفكر الاشتراكي وانتقد المجتمع الأمريكي لنظرته السلبية تجاه الشيوعية والاشتراكية. وقد تأثر كورت بالكاتب الإنكليزي جورج أورويل (1950-1903) والكاتب الايرلندي المسرحي برنارد شو (1950-1856) والكاتب الأمريكي مارك توين (1910-1835). وكان يدعو الى ان يكون الأسلوب الكتابي "إنسانيا" ذا لغة بسيطة وفقرات وجمل قصيرة قادرة على إيصال الفكرة الى المتلقي.

وقد وصفته الباحثة و الطبيبة النفسية أندرسون بانه محبوب مرح غريب الاطوار ومعذب، عندما كان يحاضر في جامعة أيوا في ستينيات القرن الماضي، وشارك في اول دراساتها حيث اهتمت بتتبع تاريخ المرض النفسي لدى العائلة مثل انتحار والدته يوم عيد الام وابنه المصاب بالشيزوفرينيا، وان كان في رأيها أن التشخيص الادق هو ثنائي القطبية والذي تخرج لاحقا من كلية الطب ونشر كتابين عن تجربته مع المرض النفسي كشف فيها عن وجود حالات بين الاخوات والأقارب مثل اضطرابات الاكل والإدمان على المؤثرات العقلية والكحول.

وفي رأيها ان الثقافة بين الابداع والحالات النفسية لم يكن مفاجئا كونها نمطية وجدتها باستمرار واطلق عليها المعلم اليوناني الأول أرسطو (384-322 ق م) "مسحة من الجنون" او علق عليها المسرحي والشاعر الإنكليزي شكسبير(1616-1564) في مسرحيته "حلم منتصف ليلة صيف" على لسان شخصية ثاسيوس "المجنون والعاشق والشاعر" او في كتابات الشاعر والناقد والمسرحي الإنكليزي (1700-1631)جون دريدن حول "الحاجز الرفيع بين العبقرية و الجنون". وقد اختلف موت كورت كونه جاء نتيجة حادث عن نهاية مبدعين اخرين سحقتهم الكآبة ودفعتهم الى الانتحار مثل الكاتبة الإنكليزية فيرجينيا وولف (1882-1941) والروائي الأمريكي أرنست هيمنجواي (1961-1899) والرسام الانطباعي الهولندي فان جوخ (1890-1853) والشاعر الأمريكي البارز جون بيرمان (1972-1914) والشاعر الأمريكي هارت كرين (1899-932) والرسام مارك روثكو الأمريكي من أصول لاتفية (1970-1903) والمصورة الفتوغرافية دأيان ايربوس (1971-1923) والشاعرة الامريكية آن ساكستون (1928-1974). وأخيرا و ليس آخرا الرسام التجريدي التعبيري آرشيل غوركي الأمريكي من أصول أرمنية (1948-1904)، والذين سيكونون موضع دراستنا في مقالات قادمة.

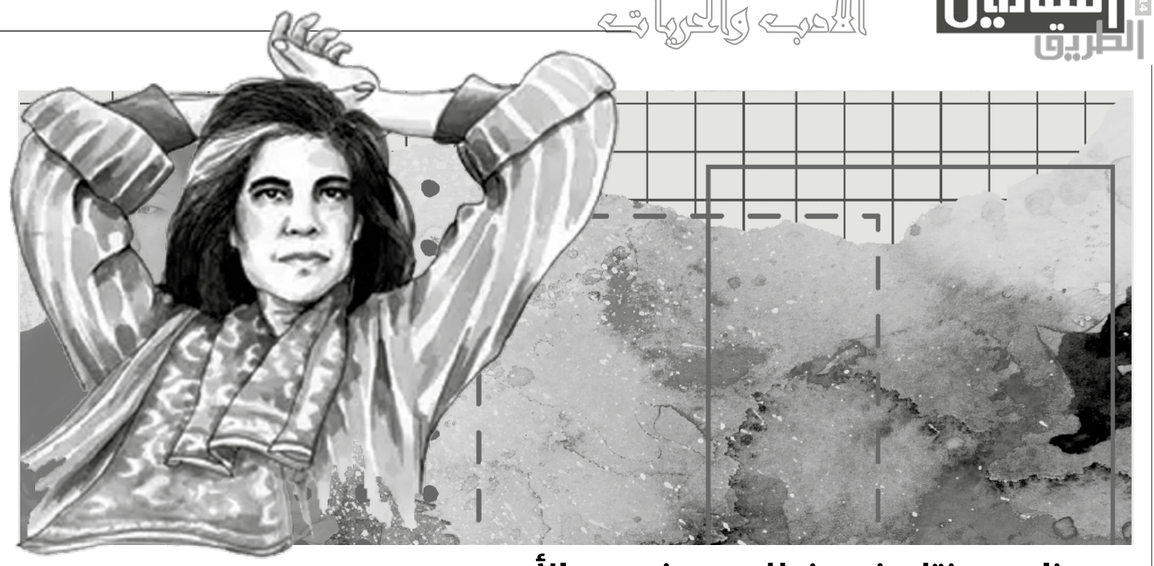

سوزان سونتاج في خطاب عن فحوى الأدب

الهروب من سجن الغرور القومي والفلسفة التافهة

ترجمة: سارة محمدي

”كان الأدب العالمي هربًا من سجن الغرور القومي، والفلسفة التافهة، والريفية الإجبارية، والتعليم الباطل، والأقدار غير الكاملة، والحظ السيئ. كان الأدب بمثابة جواز السفر للدخول إلى الحياة والنعيم“. مقتطف مما جاء في خطاب قبول سوزان سونتاج لجائزة السلام الممنوحة من جمعية بائعي الكتب الألمانية Friedenspreis des Deutschen Buchhandels.

وتُمنح جائزة السلام، التي تبلغ قيمتها النقدية 15000 يورو، من جمعية بائعي الكتب الألمانية سنويًا منذ العام 1950. تقديراً لعمل الكاتب مدى الحياة في مجالات الأدب أو الفن أو العلوم التي تساهم في الترويج للسلام. ومن بين الفائزين البارزين الآخرين بها، هيرمان هيسه، فاسلاف هافيل، يورغن هابرماس والكاتبة النيجيرية تشينوا أتشيبا.

وقال ديتر شورمان، مدير الجمعية، في خطابه في صالة بولسكيرش في فرانكفورت، أن سونتاج ترى أن واجبها الأول هو قول الحقيقة. وما زالت في عالم من الصور الزائفة والحقائق المشوهة، تدافع عن شرف الفكر الحر.

برنامج بوش الإمبراطوري

في خطاب موجه للمحتفين بها قالت سونتاج: إنّ الحديث في هذا التاريخ المشحون وفي هذه المناسبة، لتقدير تجربتي المتواضعة لأمر مُلهم. لا يسعني إلا أن آسف على الغياب المتعمد للسفير الأمريكي، السيد دانيال كوتس، الذي أظهر رفضه الفوري، للدعوة المُقدمة من جمعية بائعي الكتب هذا العام، لحضور اجتماعنا هنا اليوم، مما يدل على أنه يهتم بتأكيد الموقف الأيديولوجي ورد الفعل الحاقد لإدارة بوش أكثر من اهتمامه بالقيام بواجبه الدبلوماسي المعتاد، وتمثيل مصالح وسمعة بلده الذي هو بلدي أيضًا.

أفترض أن السفير كوتس قد اختار عدم التواجد هنا بسبب الانتقادات التي وجهتها، في المقابلات الصحفية والتلفزيونية وفي المقالات الموجزة في المجلات، بشأن النزعة الراديكالية الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية، كما يتجلى ذلك في غزو العراق واحتلاله. يجب أن يكون هنا، على ما أعتقد، لأن مواطنًا من البلد الذي يمثله في ألمانيا يُكرم بجائزة ألمانية مهمة.

السفير الأمريكي من واجبه أن يمثل بلاده كلها. أنا، بالطبع، لا أمثل أمريكا، ولا حتى تلك الأقلية الكبيرة التي لا تدعم البرنامج الإمبراطوري للسيد بوش ومستشاريه. أحب أن أعتقد أنني لا أمثل أي شيء سوى الأدب، فكرة معينة عن الأدب والضمير، فكرة معينة عن الضمير أو الواجب. ولكن، مع الأخذ في الاعتبار الاستشهاد بهذه الجائزة من دولة أوروبية كبرى، والتي تذكر دوري "كسفير فكري" بين القارتين، لا يمكنني مقاومة تقديم بعض الأفكار حول الفجوة المشهورة بين أوروبا والولايات المتحدة، والتي يُزعم أن اهتماماتي وحماسي تسدها.

الفجوة المشهورة

أولاً، هل هي فجوة - جاري ردمها؟ أم أنها صراع من نوع ما أيضًا؟ إنّ التصريحات الغاضبة والرافضة بشأن بعض البلدان الأوروبية، أصبحت الآن العملة المشتركة للخطاب السياسي الأمريكي. وهنا، على الأقل في البلدان الغنية على الجانب الغربي من القارة، أصبحت المشاعر المعادية لأمريكا أكثر شيوعًا، وأكثر سماعًا، وأكثر حدة من أي وقت مضى. ما هو نوع هذا الصراع؟ وهل له جذور عميقة؟ أعتقد أنه كذلك.

لطالما كان هناك عداء كامن بين أوروبا وأمريكا، واحد على الأقل معقد ومتناقض مثل العداء بين الوالدين والطفل. أمريكا دولة أوروبية جديدة، وحتى العقود القليلة الماضية، كانت مأهولة إلى حد كبير بالشعوب الأوروبية. ومع ذلك، فإن الاختلافات بين أوروبا وأمريكا دائمًا هي التي صدمت أكثر المراقبين الأوروبيين إدراكًا: ألكسيس دي توكفيل، الذي زار (الأمّة الفتية) في العام 1831 وعاد إلى فرنسا ليؤلف كتابه عن الديمقراطية في أمريكا، وما زال بعد حوالي مائة وسبعين عامًا، أفضل كتاب عن بلدي، ودي إتش لورانس، الذي نشر قبل ثمانين عامًا أكثر الكتب إثارة للاهتمام عن الثقافة الأمريكية، ودراساته المؤثرة والمثيرة للسخط في الأدب الأمريكي الكلاسيكي، وكلاهما أدرك أن أمريكا، طفل أوروبا، أصبحت، نقيضًا لأوروبا.

لم يخترع مؤلفو المقالات الشعبية الحديثة التي تروج لفكرة الصدام الحتمي للمصالح والقيم بين أوروبا وأمريكا هذه التناقضات. تحمّل معي، إذا كانت مراجعي أدبية حصراً. بعد كل شيء، فإن إحدى وظائف الأدب المهم والضروري، هي أن يكون نبويًا. ما لدينا هنا، بشكل كبير، هو الشجار الأدبي - أو الثقافي - الدائم، بين القدماء والحديثين.

أوروبا الإشتراكية

الماضي هو (أو كان) أوروبا، وأمريكا تأسست على فكرة الانفصال عن الماضي، الذي يُنظر إليه على أنه مُثقل، وخطير في أشكالية من الاحترام وأسبقية معاييره لما هو متفوق وما هو الأفضل، وهو أمر غير ديمقراطي في الأساس، أو "نخبوي". أما المرادف الحالي السائد، فهو أولئك الذين يتحدثون عن أمريكا المنتصرة ويواصلون الإيحاء بأن الديمقراطية الأمريكية تعني التنصل من أوروبا، ونعم، يتبنون نوعًا معيبًا من البربرية التحررية. إذا كان معظم الأمريكيين ينظرون إلى أوروبا اليوم على أنها اشتراكية أكثر منها نخبوية، فإن ذلك لا يزال يجعل أوروبا، وفقًا للمعايير الأمريكية، قارة رجعية، مرتبطة بعناد بالمعايير القديمة: دولة الرفاهية. جميع الحروب الحديثة، حتى عندما تكون أهدافها تقليدية، مثل التعظيم الإقليمي أو الاستحواذ على الموارد النادرة، تُصور على أنّها صراع حضارات - حروب ثقافية - حيث يدّعي كل جانب التحضر، ويصف الآخر بأنه بربري. فالعدو يشكل على الدوام تهديدًا "لأسلوب حياتنا"، وكافر، ومدنس، وملوث، ومفسد للقيم العليا.

شروط الاستخفاف

إن الحرب الحالية ضد - تقصد غزو العراق آنذاك - التهديد الحقيقي للغاية الذي تشكله الأصولية الإسلامية المتشددة هي مثال واضح بشكل خاص. الأمر الجدير بالملاحظة هو أن نسخة أخف وطأة من شروط الاستخفاف نفسها تكمن وراء العداء بين أوروبا وأمريكا. يجب أن نتذكر أيضًا أن الخطاب الأكثر ضراوة ضد أمريكا الذي سُمع في أوروبا على الإطلاق والذي يتهم الأمريكيين بأنّهم برابرة، لم يأت من اليسار المزعوم، بل من اليمين المتطرف. لقد هاجم كل من هتلر وفرانكو مرارًا وتكرارًا أمريكا المنخرطة في تلويث الحضارة الأوروبية بقيمها التجارية الفاسدة.

بالطبع، لا يزال الكثير من الرأي العام الأوروبي معجبًا بالطاقة الأمريكية، النسخة الأمريكية من "الحداثة". وللتأكيد، كان هناك دائمًا مثقفون أمريكيون يحملون المثل الثقافية الأوروبية أحدهم يقف امامكم هنا (في إشارة إلى نفسها)، الذين يجدون في الفنون القديمة في أوروبا تصحيحًا وتحررًا من التحيزات التجارية العنيفة للثقافة الأمريكية. وكان هناك دائمًا نظراء لمثل هؤلاء الأمريكيين على الجانب الأوروبي: الأوروبيون المفتونون بكل ما هو أمريكي. إنهم - الأرميركيون - يرون أنفسهم يدافعون عن الحضارة. لم تعد جحافل البرابرة خارج البوابات. إنهم في الداخل، في كل مدينة مزدهرة، يخططون للخراب. سيتعين على البلدان "المنتجة للشوكولاتة" (فرنسا وألمانيا وبلجيكا) أن تتنحى جانباً، في حين أن الدولة التي لديها "إرادة" والله إلى جانبها، تتابع المعركة ضد الإرهاب (الذي يختلط الآن بالهمجية). وفقًا لوزير الخارجية باول، من السخف أن تطمح أوروبا القديمة للعب دور في حكم أو إدارة الأراضي التي فاز بها التحالف. ليس لديها الموارد العسكرية ولا طعم العنف ولا دعم سكانها الذين يعيشون في المحيط الهادئ. نعم. الأمريكيون على حق. الأوروبيون ليسوا في مزاج إنجيلي أو عدواني.

الإمتنان الأبدي

كانت إحدى هذه الأوقات في الحرب العالمية الثانية، حتى بدايات الحرب الباردة، عندما كان الأوروبيون ممتنين للغاية لتدخل أمريكا وعونها ودعمها. يشعر الأمريكيون بالراحة عندما يرون أنفسهم في دور منقذ أوروبا. لكن بعد ذلك، ستتوقع أمريكا من الأوروبيين أن يكونوا ممتنين إلى الأبد، وهذا ليس ما يشعر به الأوروبيون الآن.

لذا ترى أمريكا نفسها الآن على أنها المدافع عن الحضارة ومنقذ أوروبا، وتتساءل لماذا لا يفهم الأوروبيون هذه النقطة؛ والأوروبيون ينظرون إلى أمريكا كدولة مُحاربة متهورة، هكذا يُسمع الخطاب بشكل متزايد في الولايات المتحدة، لتكون مسالمة، من أجل المساهمة في إضعاف القوة الأمريكية. يُعتقد أن فرنسا على وجه الخصوص تخطط لتصبح مساوية لأمريكا، بل وحتى متفوقة عليها ، في تشكيل الشؤون العالمية، وهي نظرية اخترعها كاتب عمود فاشل في صحيفة نيويورك تايمز لوصف التوجه الفرنسي نحو الهيمنة، بدلاً من إدراك أن هزيمة أمريكا في العراق ستشجع "الجماعات الإسلامية المتطرفة من بغداد إلى الأحياء الفقيرة الإسلامية في باريس" على مواصلة جهادها ضد التسامح والديمقراطية.

من الصعب على الناس ألا يروا العالم بمصطلحات استقطابية (هم ونحن) وقد عززت هذه المصطلحات في الماضي الفكرة الانعزالية في السياسة الخارجية الأمريكية بقدر ما تعزز الآن الفكرة الإمبريالية.

الفكرة الإنعزالية

لقد اعتاد الأمريكيون للتفكير في العالم من منظور الأعداء. الأعداء في مكان آخر، حيث أن القتال دائمًا ما يكون "هناك" ، حيث تحل الأصولية الإسلامية الآن محل الشيوعية الروسية والصينية باعتبارها التهديد الخفي العنيد على "أسلوب حياتنا". كما أن كلمة "إرهابي" أكثر مرونة من كلمة شيوعي. يمكنها أن توحد عددًا أكبر من النضالات والمصالح المختلفة تمامًا. ما قد يعنيه هذا هو أن الحرب ستكون بلا نهاية، لأنه سيكون هناك دائمًا بعض الإرهاب (حيث سيكون هناك دائمًا فقر وسرطان)؛ أي أنه ستكون هناك دائمًا صراعات غير متكافئة يستخدم فيها الجانب الأضعف هذا النوع من العنف، الذي يستهدف المدنيين عادة. لهذا فأنّ الخطاب الأمريكي، إن لم يكن المزاج الشعبي، سيدعم مثل هذا الطرح التعيس، لأن النضال من أجل الحق لا ينتهي أبدًا.

يكمن جزء من اللغز بالتأكيد في الانفصال بين الخطاب الرسمي والواقع المعاش. الأمريكيون يمجدون باستمرار "التقاليد". ابتهالات القيم العائلية هي في قلب خطاب كل سياسي. ومع ذلك، فإن الثقافة الأمريكية تتسبب في تآكل كبير في الحياة الأسرية، بل في الواقع لجميع التقاليد، باستثناء تلك التي أعيد تعريفها على أنها "هويّات" يمكن قبولها كجزء من أنماط أكبر للتميز والتعاون والانفتاح على الابتكار. صحيح، أثناء ترشح جورج بوش لمنصب الرئيس في عام 2000، طلب أحد الصحفيين من المرشح الرئاسي - آنذاك - بوش، تسمية "فيلسوفه المفضل"، فكانت الإجابة التي لقيت استحسانًا، وهي الإجابة التي من شأنها أن تجعل مرشحًا لمنصب رفيع من أي حزب وسطي هنا في أي بلد أوروبي أضحوكة ومحط سخرية، كان "يسوع المسيح". لكن، بالطبع، لم يقصد بوش، ولم يُفهم على أنه يعني، أنه إذا تم انتخابه، فإن إدارته ستشعر بالفعل بأنها ملزمة بالمبادئ والأخلاقيات التي شرحها يسوع.

سوزان سونتاج ترى أن واجبها الأوّل هو قول الحقيقة، وما زالت في عالم من الصور الزائفة والحقائق المشوهة، تدافع عن شرف الفكر الحر

متابعة

أكبر من مكتبة الإسكندرية

مساع موصلية لمواكبة العالم بواسطة "المكتبة الآشورية"

عبد الله البصري

تسعى جامعة الموصل إلى التواصل مع العالم ومواكبة مسيرته العلمية والثقافية عبر تبنيها مشروعا لإنشاء أكبر مكتبة مركزية في العراق والمنطقة.

وكانت جامعة الموصل قبل نحو 5 أعوام مدمرة بشكل كامل جراء إرهاب داعش والحرب ضده، لكنها اليوم تسعى لإنشاء أضخم معلم ثقافي وحضاري بارز بعد إعمار غالبية مبانيها، يتمثل في "المكتبة الآشورية".

تحدي المعوقات

أعلن ذلك قسم المشاريع في الجامعة، مبينا أن هذه المكتبة من المفترض أن تكون في حال تنفيذها، الكبرى في الشرق الأوسط.

ووفقا لما ذكره مدير القسم أسامة حمدون في حديث صحفي، فإن "مشروع المكتبة الآشورية أو مكتبة آشور بانيبال، قد بوشر العمل فيه قبل 2003، لكنه توقف بسبب الاحتلال الأمريكي، ثم استؤنف بعد ذلك وتوقف مرة أخرى بعد سيطرة داعش على الموصل".

إصرار على التنفيذ

وأشار إلى أن الجامعة تسعى اليوم لإحياء المشروع من جديد، ومواصلة العمل فيه، مؤكدا أن "هذه المكتبة ستكون أكبر من مكتبة الاسكندرية الشهيرة في مصر".

وعن موقع المشروع، أوضح حمدون أنه داخل مبنى الجامعة، في الجزء الشمالي للمدينة، ويمتد على مساحة 50 ألف متر مربع.

أما عن نسبة الإنجاز، فقال أنها "وصلت حتى عام 2014 إلى 62 في المائة، وبسبب العمليات الحربية التي شهدتها الجامعة، تراجعت النسبة لتصبح حاليا 35 في المائة".

وتابع قائلا أن "الجامعة قدمت كافة المتطلبات والأوراق الخاصة بالمشروع إلى وزارة التعليم العالي من أجل استئناف العمل فيه. وأن الوزارة طرحت بدورها الموضوع على وزارة التخطيط، والتي من المؤمل أن تعلن عن موافقتها على إكمال المشروع"، معرباً عن أمله في أن يرى المشروع النور قريبا، بناء على الدعم الذي أبداه كبار المسؤولين في الدولة".

مركز ثقافي

وبالنسبة لشكل المكتبة وتصميمها العمراني، قال حمدون أن "التصميم يحاكي ثلاث حقب مختلفة: الآشورية والعربية الإسلامية والمعاصرة الحديثة"، لافتا إلى أن "المكتبة لن تقتصر على مكتبة فقط، بل ستضم قاعات للقراءة وأخرى دراسية، وصالات للمؤتمرات وقاعات للمعارض ومسرحًا كبيرًا ومتحفًا ومواقع استراحة، أي أنها ستكون مركزًا ثقافياً متعدد الجوانب".

وأشار إلى أن "هذه المكتبة من شأنها أن تفتح آفاق التعاون مع الجامعات الكبرى والمتاحف العالمية".

جانب من مباني المكتبة الآشورية.

صندوقهم المُدنّس

زهرة خبّاط
شاعرة إيرانية

سوف امسك يدك
وأنت تستيقظ.
غضبنا أعظم من قوتهم
بسبب الجوع
يأكلون الرصاص.
لقد توفيت البارحة
لقد مت منذ ساعة
أموت ساعة بساعة
مرارا وتكرارا.

يا بلدي
قف على قدميك
ابتكر خوفك
وبكل ما أوتيت من قوّة
دُس على صندوقهم المدنّس
وأحرقه عليهم
في عيون الضحايا تتحول القوة
الخائفة إلى نار من الجحيم

قل انك عطشان
لتلك الحروف الخمسة
والكلمات الخمس:
إشراق
حياة
اختيار
وجود
رغبة و..
كارانجي
يا أرضي الحمراء
رددي ورائي:
رباط الحرية والقفص
العصفور والرصاصة
الدم والشارع
أنا وهم
الموت نصفي الآخر
ماذا يريدون أن يحصلوا مني بعد؟
يا بلدي الظمآن
يا بلدي!

صرّة قديمة

مروة أبو ضيف
شاعرة مصرية

في صرة قديمة
كنت قد خبأت فيها المسرات
والاغنيات
نبتت وردة زرقاء
لها رائحة خبيز صباحي
واطفال على أيديهم الطين وملح
البحر
صوتي الذي خبأته بجوارهم صار
مذياعًا عتيقًا
جرامافون يغني من تلقاء نفسه
قدمي تلبس خطوات مرسومة
على الدرج
اتأبط ذراع الولد بجواري
يا ولد اين نذهب الان؟
ينحني امامي ويقبل يدي
يعطيني وردة زرقاء
ويضعني في صندوق خشبي
صغير
فتاة شقراء فارعة الطول
تدير زنبرك فضي
أرقص على موسيقي حيية
وفي نوبة غضب
يسقط الصندوق على الأرض
ينكسر الولد بجواري
أتدثر في صرة قديمة للمسرات
ومن فمي، تخرج وردة زرقاء.

لستُ هلوعًا

يقين صلاح
شاعرة عراقية

النهرُ الذي وهبني صمته في
أحسنِ تقويمٍ له
عَرِفَ جيدًا أنني لستُ هلوعًا و
لا جزوعًا و لا منوعًا

عَرِفَ اسمي كما يكتب في
الجوازات
و ظل يرددهُ كلما مررتُ بجانبه
عَرِفني جيدًا..
صامتًا وهبني سراجهُ
و قال لي : تحدّث
"تبّت يداي حين لمست سراجًا
غيرك!
تبّت يداي حين أخطأتْ السراج"
قال:
اذهب !
ذنبُكَ انصهر بين يديك
طائرُك الذي نحركَ
قد خيّط عنقك .
سكوتًا،
أحاطني و نفخ في صورِ وجهي
سكينةً و تشرّدًا و توجُّس
سكوتًا،
زجَّ الهِداية في صدري زجًّا
ما قال لي أن " ادعي "
ما قال أنا شرّدتكُ
"فلتركع "
قال آسفًا
قال لا تؤاخذني
ما خُلقتُ من عجلٍ .. و لا جدلٍ
و لم أكنْ يومًا خصيمًا مبينًا
النهرُ الذي قال أسمي بأحسن
تقويمٍ لهُ
لم ألتفت إليهِ ابدًا.

كلما مرَّ طيفك

آمال هدازي
شاعرة مغربية

أمشط الغيب بنظرة أمل
أرسمها من ثنايا بسمة مشرقة
وبدفء المدى
ألمس عوالمَ الغيب
أتماهى فيها
ومن كل زاوية أتشكل
نجمة تحكي للغيم
كم أحبك...
وعندما يحل الليل
أزرع المكان قصصا
أرويها
على متم شجرة مزهرة
وسرب حمام زاجل
يخط فرحة اللقاء الجميل
كلما مر طيف عطرك
بذاكرتي.

ألوّح بيدي وأبكي

عصام عبود
شاعر سوري

أنا مريضٌ جداً
أحاولُ أن أدخلَ إلى البيتِ
دون أن تسبقني الشوارعُ إلى السرير
وتطردني الحانات من المطبخ
بحجةِ الدين الذي لم أسدده بعد
أحاولُ أن أكتبَ فقط
فقد بدأت ألمح الذين أعرفهم
والذين أصادفهم في الشوارعِ والحانات
واقفينَ عند باب غرفتي
يتحدثون إليّ
ويشاركونني الأغاني كلّها
ثمَّ يرحلون
واحداً تلو الآخر
وإلى الآن
ما زلتُ ألوّح بيديَّ إلى الباب و أبكي.

البحيرة العجوز

حسين بهيش
شاعر عراقي

هنا رميت فؤادي بدلًا من الشمعة
لأمشي، مثل القديسين على الماء.
صخورها الكلسية
التي تلمعُ بوجه الشمس
كانت ندًا عنيدًا
أشعرُ أحيانًا، أنها جماجم أجدادنا
أو حُلي الأرض.
هناك يرقد الحزن
ويشربُ السكير الخمر الرخيص
ويقبلُ المُحبُ حبيبتَهُ خُفية
وأنا، أذهبُ لأكتبَ عن هؤلاء.

لكَ الأمرُ

إيمان الشاخوري
شاعرة بحرينية

سوفَ ننمو...
فنحنُ الذينَ سقى اللهُ فينا النّخيلَ،
ليسَاقطَ الحزنُ منّا جنيًا
ونحنُ الذينَ
إذا جمحتْ رغبةٌ في البكاءِ
استندنا على القلبِ،
ثمّ بكينا... بلا أيِّ جدوى
سوى رغبةٍ في البكاءِ
لمن يبلغونَ من الذكرياتِ... عتيًا
ونادى المنادي على ربِّ مريمَ،
نادى...
وما كانَ منهُ النّداءُ خفيًا
سمعناهُ فينا يكسّرُ أحزانهُ
فتشظّى بها القلبُ
يشتعلُ القلبُ حبًّا... وشيبًا
ويوهَنُ عظمُ الحياةِ
ولا تسترُّ لكَ الحزنَ
لكنّنا نتذكّرُ أنّا عبدناكَ،
نذكرُ: كانَ لكَ الأمرُ من قبلُ، من بعدُ،
كانَ...
فهل كنتَ يومًا
بمن عبدوكَ حفيًا؟

أنا لستُ مريمَ،
لستُ القرابينَ،
لستُ الشموعَ،
ولكنْ بنفسي احترقتُ
احترقتُ... ولم أنتبذْ، غير نفسي، مكانًا
قصيًا

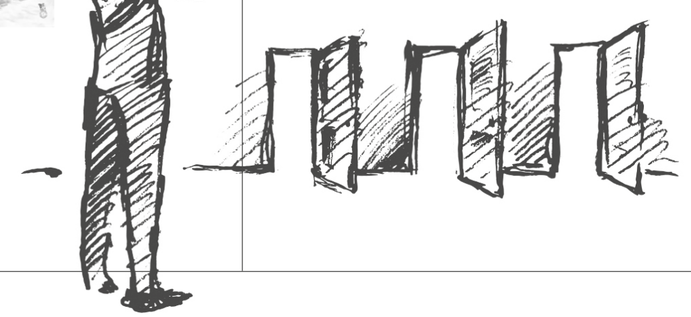

جاكلين سلام تطعم الغيمات برتقالا وقصائد..

صدر ديوان شعري بعنوان "تطعم الغيمات برتقالا" للشاعرة جاكلين سلام في ثوب جديد بتاريخ 26 ديسمبر 2022 ليكون متوفراً حسب الطلب ورقيا والكترونياً عبر منصات لبيع الكتب عالمياً، عبر مبادرة "الضفدعة المجنحة" الفنية.
التنسيق الداخلي وتصميم الغلاف للفنان التشكيلي المصري: ياسر عبد القوي، مدير مبادرة "الضفدعة المجنحة" والتي تعتبر مشروعا للنشر التعاوني بين الكاتب وصانع الكتاب في نسخة فنية تليق بالنصوص والقراء.
ديوان تطعم الغيمات برتقالاً، هو الطبعة الثانية لديوان شعري سبق نشره 2005 بعنوان "رقص مشتبه به" ويضم 25 قصيدة، 122 صفحة، مع إضافة قصيدة واحدة كتبت في تلك الحقبة بعنوان ترجمانة بابلية.
وعن إعادة النشر والتوزيع بعد أكثر من 15 سنة على نشر وتوزيع الطبعة الأولى، كتبت جاكلين في مقدمة الديوان:
لماذا أعيد نشر الديوان من جديد؟ لأنني أريد أن تكون هذه القصائد في متناول القارئ والناقد العربي في حلة جديدة توفرها لنا التكنولوجيا الحديثة. ولأن الديوان الذي صدر عام 2005 لم يوزع كما يجب، ولم يعد متوفراً في الأسواق. كُتبت قصائد الديوان بين عامي 2002 و2005.
الإهداء من جاكلين سلام:
إلى السنجاب الكندي الذي يتسلق الإسمنت إلى شرفتي. إليكم في دروب البلاد والمنافي. إلى مدوني الأبجديات من نينوى وإلى آخر اللغات، وإلى عشاق الحرية وصانعيها والحالمين بها الآن وعلى مرّ الأزمنة.
وجاكلين سلام هي شاعرة، صحفية، مترجمة سورية كندية، صدر لها حتى الآن 5 مجموعات شعرية، ولها عدد لا يحصى من المقالات والدراسات والترجمات المنشورة في صحف ومجلات عربية في الشرق وكندا. وتدير الشاعرة صالون جاكلين سلام للحوار الثقافي بين كندا والعالم.

نص

القادم المجهول

نزارعبد الغفارالسامرائي

الخطى لاتموت.. الى نصير الشيخ

ضجيج قرص التزويل الذي تكررُ أصابع صديقي أحمد دورانه كل مرة وهو يبحث عبرأسلاك الهاتف عن صوت حبيبته التي تاهت بين هواتف بغداد المتشابكة.. كل هذا يزيد من احساسي بالملل والضجر.
منظر السماء من النافذة ينبأني بقادم جديد أحس طرق أنامله على باب قلبي.. أتوجس خيفة فذلك الأنتظارالمقيت عبر سنوات مخاض مريرأوقدت جذوة الشك في رأسي ،فغزا البياض شعري بانتظار القادم المجهول.
ـ أخيراً!! صوت أحمد يقطع عليّ خلوتي.. بأستغراب نظرت اليه مستفسراً.
ـ وجدتها!! ستكون باحة مركز الفنون بانتظارنا..
ـ وأنا أسكنُ وحدتي بينما تتوحد أنت في عينيها وبريق الألوان على جدران المركز.
ـ ليكن.. لكنك لن تكون وحدك.
فعلا.. لن أكون وحدي فهاجس الآخرالذي ينتظرني في زاوية مت من شوارع بغداد المكتظة يحدثني دوماً بأن لا أتردد في استغلال أي لحظة للأنطلاق بحثا عنه.. فأي مكان استطيع فيه التوحد مع الآخرالذي يسكنني غير مكان الألوان والصمت الصوفي.. والجمال.
امسكت التفاحات الأربع بيدي.. سأمارس لعبة الأغواء بديلا عن أمنا حواء من أجل عودة ولوج الجنة، قررت أقتسامها بيننا، أحمد وصديقته ولي والأخر المجهول الذي انتظر لقياه.
اليوم الشمس اكثر جمالا من كل شمس تسطع على مدينة أخرى في الأرض، والسماء تفتح ذراعيها لأملٍ اتحسس تفاصيله عند الأفق الذي أختفى خلفَ بنايات الكونكريت.
تمتد المسافة وتتكاثر الخطى بأيقاع متسارع والذي انتظر لايزال بعيدا.اتفقد الوجوه.. كل العيون التي تصادفني ..لا احد من يطفئ ذلك البريق الذي يشتد لمعانه في عيني.. انفردت وحدي بعيدا عن احمد ورفيقته، أتأمل ذلك الهدوء المخيم برهبة الكنائس على صالات العرض، رغم تزاحم مجاميع من طلبة كلية الفنون كما حزرتهم.
لحظة ٍوحلقت وحدها بعيداً عن السرب الذي غادرالى صالة أخرى ، كواليس العرض اطبقت علينا بألوانها ومارست علينا لعبة الصدفة والانفراد.. فقذفتني على الطرف الآخر.. كل منا باتجاه نقطة التقاء عند المنتصف.. لابد حينها من التصادم!
ـ هل تنتظرين أحدا ما؟
نظرت نحوي باستغراب بانَ عبر لمعان عينيها.
ـ كلا ..وأنت؟
ـ نعم
ـ من؟
ـ المسيح..
ـ منْ؟
ـ أي المخلص الذي سيحمل عني ذلك الترقب لقادم مجهول احمل عذاباته داخل روحي، فيرحمني قلبي.. الملمُ جراحي دوماً بانتظاره.. ولا يأتي.
ـ أذن..
ـ أوشكت عيناكِ تعميدي، فأسمحي أن ابقى ابحرفيهما حتى أغتسل من كل أوهامي.. أوهامي كفرٌ "فطهريني من هذا الكفرْ".
كانت ابتسامتها إيذاناً بأن أنسى احمد وصديقته اللذان ذهبا باتجاه صالات المركز الأخرى، لأنسلَ محتضناً يدها الناعمة بعيداً عن كل هذا العالم، باتجاه المجهول الذي يهزءُ بكل المواعيد الموقوتة لانفجارالوقت المبرمج للقاءِ القادم.

عبد الستار البيضاني الفائز بجائزة الإبداع العراقي

الكاتب إنسان متفاعل مع الحياة بمجسات بالغة الحساسية

أجرت الحوار: منى سعيد

كاتب تمسك بالموروث الشعبي، وعكس الحياة اليومية من خلال حكاياته، مؤسطراً الواقع، فبرز كاتباً متميزاً على صعيد الرواية والقصة العراقية الحديثة ونال أخيرا جائزة الإبداع العراقي عن روايته "دفوف رابعة العدوية" التي تتقطع أنفاس القارئ وهو يلاحق لاهثا أحداثا محبوكة بنسيج متين تتشابك فيه مشاهد الحب والتصوف والتاريخ والفن والموسيقى واستدراج الذكريات. رواية كُتبت بحذق تام لا يترك مجالا لتأويل أو تخمين ما الذي سيحدث، كل صفحة وأحيانا في كل سطر منها مفاجأة تداهم القارئ وتسحبه إلى عوالم فنطازية مرة وواقعية بحتة مرات أخرى، تربكه بين تصديق الحقائق وواقعية الأوهام.

فالدفوف هي معراج إلى الله تتبادل أدوارها مع آلة السنطور، مثلما تتبادل الأدوار بين رابعة العدوية والحبيبة قبس ورسلية صاحبة فرقة الخشابة في أجواء حميمية وصوفية في آن واحد وفي أماكن مختلفة في بغداد والبصرة بتفاصيل جغرافية وتاريخية دقيقة. وبهذا رسم البيضاني خرائط متشابكة لعواطفه المشحونة بين البحث عن رابعة العدوية وربطها بحكايته مع قبس وسرد تاريخ تشترك مفرداته بينهما.

وكنت قبل سنوات قد أجريت حوارا مع البيضاني حول نتاجاته الأدبية ضممته أخيرا في كتاب بعنوان "صانعو الجمال.. حوارات في الثقافة والحياة" سيصدر قريبا، وأجد أن من المفيد التذكير به.

• عُرفت كاتباً للقصة القصيرة، وشكلت علامة مميزة بالنسبة لجيلك، فهل يمكن أن تحدثنا عن تجربتك هذه؟

في لحظة ما وقبل نحو ربع قرن من الآن وجدتُ أن القصة القصيرة هي الأداة الممكنة التي تعينني على معرفة غموض الحياة الذي كان يحيطني آنذاك، وقد وجدت فيها، أي القصة القصيرة لذة ومتعة فائقة تثير في النفس الإحساس بالقدرة على توجيه العالم. أما كم هو قدر الوهم في ذلك أو الحقيقة؟ فإن هذا لا يهمني، المهم أن القصة تجعل الحياة ممكنة، لذلك كنت لا أحفل بالنشر والانتشار وكأنني أكتب لنفسي، ولولا زملائي القصاصين الذين أخذوا ثلاث قصص من قصصي المنشورة في المجلات، وأصدروها في مجموعة مشتركة صدرت في العام 1983 ضمن نتاجات لأربعة قصاصين من جيلي. وبقيت هكذا زاهداً بالنشر حتى أصدرت عام 1990 مجموعتي القصصية الأولى "قلعة النساء" بتحريض من القاص الرائد فؤاد التكرلي. الذي طلب مني في العام 1987 جميع قصص المنشورة وغير المنشورة واختار منها عشرة قصص كان من المؤمل إصدارها في بيروت ما قبل دار الآداب، لكن الظروف حالت دون ذلك، فصدرت في بغداد من قبل أحد دور النشر الأهلية وفي عام 1993 أصدرت مجموعتي الثانية بعنوان "الثنائيات" عن وزارة الثقافة الأعلام. ضمت عشر قصص، وكل ثنائية تضم قصتين تمثل اتجاهاً فنياً وفكرياً جربته في الثمانينيات. أما مجموعتي الأخيرة "مآتم تذكرية" فهي تمثل لي خلاصة لمرحلة من مراحل تجربتي القصصية التي أسعى إلى توجيهها نحو مناطق جديدة في أساليب وطرائق السرد.

• وأنت تكتب روايتك الأولى ما هي أدواتك؟ وهل تجد نفسك أمام امتحان؟ وهل نجحت؟

أود إن أخبرك أنني قبل أن أكتب القصة القصيرة بدأت بكتابة رواية طويلة عن تجربة أحد أصدقائي في حرب تشرين عام 1973 على الجبهة السورية، وقد أهملت هذه التجربة نهائياً ولم أعرضها على أي شخص.. الرواية بالنسبة لي حياة كاملة تنمو باستمرار وتتغير تفاصيلها حتى وإن احتفظت بمفاهيمها أو كونيتها. وبالرغم من أنني لم أنشر أي رواية إلا أنني أنجزت حتى الآن ثلاث روايات عرضتها على كبار النقاد في العراق ممن عرفوا بالقسوة وعلى بعض الأصدقاء ولاقت أصداءً جيدة، لا بل أقول لكِ لاقت حماساً منقطع النظير، وبالرغم من توفر ناشر لهذه الروايات إلا أنني أجلت نشرها لأسباب لا مجال الخوض فيها الآن.

• استثمرت الموروث الشعبي والأسطورة والرمز على نحو مبدع حسبما ذكر الناقد الدكتور شجاع العاني، كيف تأثرت به أول مرة، وما طريقة استثمارك له؟

لا توجد أية أطر أو منطلقات نظرية وأيديولوجية قادتني إلى استثمار هذه الأشياء في قصصي وإنما جاءت ضمن عملية البحث عن الخصوصية المحلية للنص، إضافة إلى قدرة الموروث والأسطورة الكبيرة على إسناد فعل القص والحكي في النص القصصي.. فقد وجدت وضمن تأملي لتجربتي ولتجارب القصاصين الآخرين في العراق، أن القصة تكاد تنأى عن الجمهور، أو يكاد يهجرها جمهورها، وبالرغم مما طرح من أفكار وتعليلات تتعلق بالتطور التكنولوجي، فقد وجدت أن السبب يكمن في إهمال فعل القص وعنصر الحكاية في القصة، والاتكاء على اللغة بمفردها، حيث تأتي كإنثيالات تلمح إلى الحدث ولا تقترب منه فيتحول أحياناً إلى خواطر تعتمد الصورة اللغوية للأفعال الذهنية ولا تلمس الحياة. فكان رد فعلي أن اعتمد عنصر الحكاية كجوهر أساسي للقصة، ووجدت نفسي أكتب بروح الأسطورة والحكاية الشعبية، ويبدو أنني وفقت في ذلك إلى حد جعل الكثير من المعنيين والقراء يعتقدون أنني استفدت أو تناولت الأساطير والموروث الشعبي في قصصي، لكن في الحقيقة أنا كتبت قصصاً من الواقع وظفت فيها أساليب قص الحكاية الشفاهية، سواء كانت أساطير أو موروث شعبي، ولم أوظف الأسطورة على نحو ما فعله الكتّاب الذين أعادوا كتابة الأساطير بروح معاصرة، فأنا أسطرت الواقع.

• ما علاقتك بالمتلقي؟ وهل تضع حساباً له أثناء الكتابة؟ وما تأثيره عليك؟

أنا ضد دكتاتورية الكاتب ومع هيمنة النص على المتلقي. حساباتي للمتلقي هي ليست حسابات مساومة من أجل الوصول إليه. أو إيصال النص إليه، وإنما هي حسابات تدخل ضمن سلة سياقات النص الفنية والفكرية. لأنني أسعى إلى إن يكون المتلقي هو كاتب النص الثاني، أو بالأحرى كتابة النص من رؤيته هو ولكن ضمن موجهات سرية أفخخ نصي بها من دون أن يدري القارئ، لذلك تأخذه لذة الاكتشاف، ولذة الكتابة الثانية، فيأخذ حريته في فضاء النص وفي الوقت نفسه ينشد إلى الواقع من خلال مناخ النص لذلك ترين أنني أركز أغلب جهدي على نصوصي تسعى لإثارة الأسئلة وليس تقديم الإجابات، لكن لا أضمن عدم تدخلها في حيثيات تلك الإجابات وانثيالاتها

مفتتح النص أو الاستهلال لكي أجذب القارئ للنص وأجعله مستغرقاً بكل تفاصيله، كما أركز على النهاية التي هي دائما نهاية مفتوحة، تمنح المتلقي حرية وضع الإجابات لكل الأسئلة التي يطرحها النص. قصتي مهمتها أثارة الأسئلة، وليس وضع الإجابات.. لكن لا أضمن عدم تدخلها في حيثيات الإجابة التي يعتقد القارئ أنه صنعها من تلقاء نفسه بشكل خالص وبحرية تامة.

• كيف تتعامل مع الزمن؟ هناك من يقول بأننا نعيش تاريخاً ماضياً بثياب جديدة،ما رأيك؟

من دون الدخول في تفاصيل الاختلاف والتطابق بين مفهومي الزمن والتاريخ وتوصيفاتهما، أجد نفسي دائماً ملتزماً بزمن القص لأنه يمنحني حرية أكبر في التحرك وصياغة الأفكار، لا بل بالصياغة الفنية لأن (زمن القص يساعد كثيراً في توفير عنصر الصدق الفني) الذي يعطي النص قوة كبيرة للتحرر من هيمنة الواقع، وهنا نجد أن العلاقة بين عنصري (زمن القص) والصدق الفني في علاقة تكافلية تسهم في تقديم التاريخ بثياب جديدة تمنحه طراوة الحاضر، وأعتقد الشق الثاني يتعلق بمشاعر الإنسان وسلوكه، أم يكن الحب تاريخاً ماضياً؟، لكننا دائماً نعيشه ونراه بثياب جديدة.

• هل تعتبر نفسك شاهد إثبات بالنسبة لعصرك وإلى أي حد؟

رغم من أنني أكره تقييد الأدب بوظائف محددة لأن وظيفة الأدب هي وظيفة كونية وشمولية، إلا أنني أحرص بشدة على أن أكون مخلصاً لعصري الذي أعيشه وخصوصاً مناطق الأمْ البشري فيه.

• هل تكتف فلسفتك؟ وكيف تتعامل معها وأنت تكتب الرواية؟ وحسب ما يقول أدونيس (الرواية تنثر العالم) هل نثرت أوراقك كلها؟

مهما استطاع الكاتب أن يكشف فلسفته في عمل روائي أو نص أدبي، فدائماً يكون بحاجة إلى أن يضيف إلى هذه الفلسفة المكثفة وحتى إذا افترضنا أن الكاتب نجح بشكل مطلق في مهمته هذه، فأنه لم يمت بعد إنجاز هذا المكتنز بالفلسفة المكثفة. أقصد دائماً ثمة تفاعل جديد ورؤية جديدة للحياة، لأن الكاتب إنسان متفاعل مع الحياة بمجسات بالغة الحساسية، دائماً لدى الحياة ما تمنحه للكاتب. ولعل أجمل ما في الرواية أنها تمنح الكاتب إحساساً بأنه كثف فلسفته وقال كل شيء، وهذا نوع من الوهم لكنه الوهم الجميل.

تعليق ثقافي

الحمامة في الاحتجاج

الطيران إلى الحريَّة

مينا اعتماد

منذ اندلاع الاحتجاجات تشرين في العراق حتى انبثاق احتجاجات إيران التي ما زالت مستمرة، ظهرت آلاف الأعمال الفنية التي ترمز إلى الغضب والمعارضة الشعبية للأنظمة، خاصة على الإنترنت. غالبًا ما تظهر فيها حمامة بيضاء تحمل غصن زيتون بمنقارها مصحوبة بعبارت ثورية. وفي بعض الأحيان تظهر تلك الطيور وسط بركة من الدّماء، بعد إطلاق النار عليها من السماء، لتسقط قرب جثامين الشهداء.

حمامة بيكاسو الشهيرة (البالوما)

قام بطباعة ملصق لأحد تلك المؤتمرات يحمل رمز حمامة بيضاء مرسومة بطريقة واقعية إلى حدّ ما، والتي أصبحت فيما بعد رمزًا مشهورًا وألهمت الكثير من الفنانين الآخرين، وما زالت حتى يومنا هذا تُدعى "بالوما"، أي حمامة بالإسبانية.

وفي الوقت الذي تمثل فيه حمامة بيكاسو (البالوما) السلام، يبدو أن الحمائم العراقية والإيرانية تمثل الحريَّة بشكل أساسي. ولا نعرف على وجه التحديد، متى ارتبطت فكرة الحريَّة بالحمام، لكن لطالما كان السلام والحريَّة مترابطان ويسيران يدا بيد؛ "نحن أحرار فقط عندما يعم السلام".

ترى الفنانة أتوسا بنده غياسابدي، ذات الخلفية الإيرانية، أن الحريَّة هي المرحلة التي تلي السلام. يمكن سماع الرغبة في الحرية في الشعار الرئيسي للحركة الاحتجاجية: "Zan Zendegi Azadi" (حرية حياة امرأة). ويمكن أن نرى هذه الكلمات في كل مكان تقريبًا، في الرسوم التوضيحية أو الرسوم على الجدران أو الملابس. حتى الأشخاص الذين لا يتكلمون الفارسية أصبحوا يتعرفون عليها. "لقد أصبحت الكلمات رمزًا، كما أعتقد. وباستخدام الرموز، يمكننا إنشاء إمكانيات جديدة، وعالم جديد تُحترم فيه حقوق المرأة وحريتها، على سبيل المثال".

لا بد أن نُعجب بالكم الهائل من الفنون التي صاحبت الاحتجاجات، ليس في إيران وحسب، بل في كل مكان في العالم. إنها تحافظ على شعور الثورة حيًّا. وعلى الرغم من تفاوت حدّة التظاهرات هنا وهناك، لكن بواسطة تلك الأعمال الفنيّة، وتكرار صور ما يناضل الناس من أجله، يمكننا الحفاظ على الشعور بالنضال على قيد الحياة وزيادة الدعم لتلك الحركة.

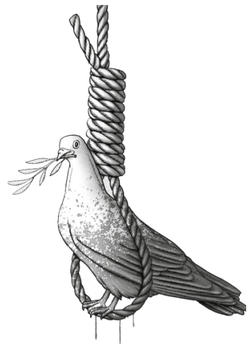

طائر الفردوسي

وليس من المستغرب أن نجد الكثير من رموز الحمام في فن الاحتجاج الإيراني، إذ هناك الكثير من الطيور ذات الرمزية مُجسدة في الشعر أو الرسم وفنون المنمنمات المصغرة الإيرانية. إنها تحمل رموزًا مثل الحريَّة أو الحب والإلهام والوجد. وربما يكون طائر (السيمورج)، وهو مخلوق أسطوري يتكون من خليط ثلاثين طائرًا، والذي يظهر، من بين أشياء أخرى، في الشاهنامه، القصيدة الملحمية الشهيرة للشاعر الفارسي الكبير الفردوسي، المكتوبة حوالي العام 1000.

تقول بنده غياسابادي، التي كانت في العاشرة من عمرها عندما اندلعت الثورة الإسلامية في بلدها الأم إيران في العام 1979. في ذلك الوقت أيضًا، كانت الحمامة رمزًا للحريَّة في الفن، أو تمثيلًا لروح الشهداء. ولأنّنا رأينا الكثير من رموز الحمام، فقد أصبحت كليشيهات نمطية للغاية، في مرحلة معينة. لكن مع ذلك يمكن استخدامها دائمًا مرارًا وتكرارًا لسهولتها وتعبيريتها العالية.

أبراج بيجون

ينحدر حمام المدينة من الحيوانات الأليفة: لقد احتفظنا بالحمام لعدة قرون لنأكله أو لنستخدم فضلاته كسماد زراعي. في العديد من البلدان، يقومون ببناء ما يسمى بأبراج الحمام العالية، حيث يمكن، في بعض الأحيان، أن تعشش ما يصل إلى 14000 حمامة في منافذ صغيرة مبينية من الطين او الحجر ومزودة بمساند. وتشتهر أبراج الحمام في إيران عالميًا، ببنائها التقليدي الذي يذكرنا بالقباب الرشيقة والأنماط الهندسية للمساجد.

الفنانة أتوسا بنده غياسابدي

ظلت الحمامة رمزًا للسلام والحرية في تاريخ الفن لآلاف السنين. من جلجامش حتى الاحتجاجات العراقية والإيرانية المعاصرة.

"أيّام قوس قزح" للكاتب التشيلي أنطونيو سكارميتا

عن دار ممدوح عدوان صدرت رواية بقالب كوميدي في 229 صفحة، عن أشهر ديكتاتور في تاريخ أميركا الجنوبية: أوغستو بينوشيه رئيس تشيلي الأسبق يرصد فيها سكارميتا بسرد روائي بديع ديكتاتورية بينوشيه في أيامها الأخيرة. حين يكون لدى الشعب 15 دقيقة ليغير مصيره. فهل يستطيع إعلان تلفزيوني أن يتخلص من الطاغية؟ الرواية صدرت بترجمة رائعة من صالح علماني.

"الخالة خوليا وكاتب السيناريو"

في بيروت، صدرت رواية "الخالة خوليا وكاتب السيناريو"، للكاتب البيروفي ماريو فارغاس يوسا، ترجمها عن الإسبانية مارك جمال.
وهي رواية متعددة الطبقات تدور أحداثها في ليما. بطلها مؤلف شاب، يدعى ماريتو يعمل في محطة إذاعية محلية. تتعطل حياته الفتية بسبب دخول عمّته خوليا، المطلقة حديثًا، في حياته، والتي يبدأ معها علاقة سرية. بينما يؤثر على مسيرته المهنية زميله بيدرو بسبب أسلوبه المتمرد.

"ديرمافوريا" للكاتب الأميركي المعاصر كريج كليفنجر

صدرت في القاهرة عن دار الكرمة طبعة جديدة من رواية "ديرمافوريا"، للكاتب الأميركي كريج كليفنجر بترجمة الروائي الراحل أحمد خالد توفيق.
وهي الرواية الثانية لـكريج كليفنجر، أحد أهم الكتّاب الأمريكان في وقتنا الحاضر، تدور أحداثها حول «إريك أشوورث» الذي يستيقظ فجأة في السجن، غير قادر على تذكر كيف حدث ذلك، أو لماذا، وكل ما يتذكره هو اسم امرأة تدعى "ديزيريه".

رواية "المُعلّب" لكوبو آبي

رواية «المعلّب» الصادرة حديثا عن دار العين للنشر، هي واحدة من أشهر أعمال "كوبو آبي"، وتُعدُّ استعارة قويّة عن الذات المتشظّية في ظل النمو الاقتصادي سريع الوتيرة الّذي شهدته طوكيو أثناء فترة الستينيات. تبدأ الرواية بصور فوتوغرافيّة كثيرة منتشرة بين صفحات الكتاب، ثم نتعرّف بعدها إلى بطل الرّواية الّذي يحاول إنقاذ نفسه من التفسُّخ الرُّوحي، فيلجأ للعيش داخل صندوق من الكرتون كناسك متجوّل. ويعدُّ "كوبو آبي" (1924-1993) أبرز كُتّاب الأدب الطليعي في اليابان في النصف الثّاني مِن القرن العشرين.

كتب

الكاتب علي حسين وغوايات القراءة

التمرد من ديوجين إلى كامو

كه يلان محمد

السؤال عن التمرد متواشجٌ مع نمط الحياة ونسق التفكير وقد تراود الإنسانَ الرغبةُ في التمرد على المتعارف عليه والانشقاق عن التيار الغالب معلناً بروحية مغامرة عدم الإنضواء إلى الكيانات المُتهالكة غيرَ أن الاستمرارية على هذا المسلك لايتحملُ ثمنها سوى من يكون شديد المراس. ولا مُغالاة في القول بأنَّ التمردَ نزعةٌ وجودية متجذرةٌ في تاريخ الفكر الإنساني لكن لا تعبرُ عن نفسها إلا من خلال الفرد مُتمظهرةً في المواقف والإكتشافات وبذلك يختلفُ التمردُ عن الثورة فالجموعُ محركٌ رئيسي في الحالة الأخيرة.

أكثر من ذلك فإنَّ التمردَ يُمثلُ وعياً ناشئاً من الشعور بإكراهات الواقع الذي يحكمُ بالدوران ضمن اختيارات محدودة لذلك لايكونُ المتمردُ مندمجاً ضمن مشاريع هادفة إلى مايبدو في الظاهر تحولا نوعياً ولكن في الحقيقة ليس إلا تغييراً في الجزئيات وهذا دون مستوى توقع العقلية المتمردة إذن مايكونُ مبدئياً بالنسبة إلى المتمرد هو أنَّ الملل المؤقت لايحدُّ مواقفه بخلاف الثوري الذي قد ينضمُ إلى تياراتٍ رافضةٍ للوضع القائم إثر الشعور بالسأم .يقولُ ألبير كامو على لسان إحدى شخصيات مسرحية "العادلون" (لا أحب الأشخاص الذين يصبحون ثواراً لأنهم يشعرون بالملل) والكلامُ عن التمرد يستدعي الإشارة إلى ضرورة إدراك الفرق بين التمرد والمواقف الاستعراضية وإطلاق العنان للمظاهر الرافضة من خلال الملبس أو الشكل في الواقع أنَّ كل ذلك ليس إلا قشوراً وأبعد مايكونُ عن حقيقة التمرد. لعلَّ مايقولهُ الشاعر أنسي الحاج عن المتمرد هو المدخل الأمثل لندلف نحو مايقدمه الكاتب العراقي علي حسين في مؤلَفه الصادر حديثاً "المتمردون" عن حياة وتجارب أسماء أبت أن يكون حضورُها مسجلاً في المَلعب التقليدي. فبرأي صاحب "ماضي الأيام الآتية" أن التمردَ صفة الوديع وهو يضيق صدره بالظلم ليس التمردُ غضب الأحمق ولا بغضاء المبغض ولا غيرة الحسود. مضمونُ هذه العبارة يذكرك بسقراط والحلاج و جوردانو برونو وكامو ما يتقاطعُ فيه هؤلاءُ هو نفس طامح إلى كشف الغطاء عن حقيقة كل مايُقترفُ باسم الأخلاق والشريعة والمقدس والثورة من المظالم.

الغرام

حلقات سيرة علي حسين لا تنفصلُ عن الكتب التي صاحبته منذ يفاعة عمره إلى أنْ أصبحَ هذا العالمُ الأثير ليس له بديلٌ بالنسبة إليه وهو مشاركٌ فعلياً في تقاسمِ حصاده المعرفي مع غيره من المتابعين. يشيرُ صاحب "غوايات القراءة" في المقدمة إلى مايراه مبدأً في عملية مشاركة الآخرين في قراءاتك فبنظره لايمكنك أن تنجحَ في هذه المهمة وتتناول عالم كاتب من طراز تولستوي أو جيمس جويس أو ترتادَ الأفق الفكري لشخصية سبينوزا باحثاً عن مستنداته الفلسفية إذا لم تكنْ مُغرماً بهؤلاء كما أنَّ مايسره المرءُ شفاهةً عن الكتب وخطوطها الأساسية يختلفُ تماما عن فعل الكتابة.لأنَّ ما يسجلُ كتابةً يتركُ أثراً وقد يثير إشكالية لصاحبه حسب وجهة نظر "علي حسين" لذلك فإنَّ المغامرة في هذا المعترك لابُدَّ أن تكون محسوبةً. وفي ذات السياق يتطرقُ حسينُ إلى آراء مشاهير الفكر بشأن دور القراءة فكانت قراءة ألبير كامو لأول كتاب في حياته تُضاهي الخطوة في أرض مجهولة كما أنَّ القراءة يُمكن أن ينقذنا من العبث حسب اعتقاد مؤلف "الغريب" وبدوره رأي مارسيل بروست في القراءة وظيفة استشفائية فأراد من خلالها التخفف من معاناته مع مرض الربو. يشيرُ صاحب "مائدة كورونا" إلى ما ألفه كامل زهيري بعنوان "الغاضبون" ودور هذا الكتاب في معرفته برموز التمرد إذ ما إن يتفحص المحتوى حتى يقعَ نظره على صورة رجل بسحنة تائهة.بجوارها عبارة مكتوبة تصفحُ عن وعي حادٍ بمكر الشعارات ومطب التعارض بين المعلن والمُضمر في الخطابات الثورية."أية ثورة تتخلى عن الشرف تتخلى عن مبادئها ،لأنَّ الثورة قبل كل شيء هي الشرف" إذن كان "الغاضبون" مفتاحاً لعالم المتمردين تنبسطُ على صفحاته حيثيات الحراكات الغاضبة والمبارزات الفكرية بين ماركس وباكونين ومناهضة طلبة فرنسا للأعراف والمفاهيم التقليدية يذكرُ إن كتاب "الإنسان ذو البعد الواحد" لهربت ماركوز كان مُلهماً لحركة 1968 الطلابية في فرنسا. واللافتُ إنَّ أبرز من يُمثلُ التمردَ قد بدأ احتجاجه من البرميل كان ديوجين الكلبي غير مألوفٍ في سلوكياته التي قد بدت للبعض عبثاً ولكن غايته من كل مايبدرُ منه هو الإبانة عن دروب جديدة للعيش لذلك كان يبحثُ عن الإنسان في ضوء النهار ماسكاً الفانوس بيده. كأنه أراد إبلاغ معاصريه بأنَّ الجوهر مغمورٌ تحت طبقات من المظاهر المُضللة.ومن المعروف عن الكلبيين التزهد، فضلاً عن التحلي بالتواضع، وإعادة النظر بالمواقف ونحت الأفكار الفلسفية من مصادر واقعية حيّة. وما نُقِلَ عن الحوار المُتبادل بين أسكندر وديوجين يؤكدُ وجود التطابق الكامل بين نمط الحياة والمبدأ المعرفي لدى الفيلسوف الصادم الذي كان يؤمن بأنَّ الحكمة لابُدَّ أن تؤدي إلى البساطة والحرية والأمان.والغاية القصوى من المعرفة ليست إلا تحقيق السلام الداخلي.يتناولُ علي حسين بوادر موجة التمرد في مفصل آخر من الكتاب مشيراً في هذا الإطار إلى مساعي المسرحي البريطاني "أوزبورون" لتحويل "الإنسان المتمرد" عملاً مسرحياً. ويتمكنُ أخيراً من تقديم مسرحية "انظر إلى الوراء بغضب " في 1956 وبذلك أصبحَ هذا العمل المسرحي رمزاً لجيل غاضب. كما اتخذ صاحبه الموقع في صف الأيقونات المُلهمة لعددٍ من المبدعين.وكانت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية قد شهدت غلياناً فكرياً ونشأت في الأجواء المشحونة بروحية رافضة إبان هذا العهد المثخن بخسارات الحرب مذاهب فكرية وتيارات فنية خارقة للسنن السائدة.

موجة العبث

مما لاشك فيه أن الشعور بالعبث ليس جديداً على الفكر البشري ،وما واجه الإنسان من الأحاجي قد حدا به إما نحو التقشف وعدم الانجرار وراء الإغراءات التي ما إن تتقطعَ حتى تخلف أشباحاً هامدة أو اختار الانغماس في الملذات.على أيةِ الحال فإنَّ العبث يتغلغلُ في كل مناحي الحياة.ويطال الاتجاهات الأدبية والفنية نتيجةً للانهيارات الناجمة عن الحرب.ولم يكن المذهب السيريالي سوى انطلاقة هادفة لصياغة لغة جديدة توافق حساسية جيل مسكونٍ بروحية مغامرة.يقول رائد السيريالية أندريه بريتون عن مدلول هذا المصطلح الجديد موضحاً بأنّه "عبارةُ نفسية صرفة تدلُ عبرها إما لفظاً أو كتابةً أو بأي طريقة أخرى على النشاط الحقيقي للفكرة في غياب أي رقابة يمارسها العقل خارج اهتمام جمالي أو أخلاقي" مع أنَّ المتمرد حسب رأي بريتون لايحتاجُ إلى الإنتماء إلى الأجداد. ولكن هذا لايعني بأنَّ هذه الحركة قد بدأت بدون المستند بل يعترف بأنَّ ما طالبه رامبو بتغيير الحياة وماكان يريده ماركس بتحويل العالم فهذا الشعاران كل واحد في برنامج السرياليين.أزيد من ذلك فإنَّ الفتوحات المعرفية قد ألقت بتأثيرها على مبادىء السيريالية فكان كل من بريتون وسيلفادور دالي يمثلان إمتداداً لما توصل إليه فرويد عن مؤثرات اللاوعي في النشاطات البشرية.
يشارُ إلى أنْ الصداقة الفكرية تجمع بين بريتون وليون تروتسكي فالأخير إلى جانب دوره القيادي في الصورة البلشفية وتشكيله للجيش الأحمر كان منخرطاً في ميدان التنظير الفكري.تسجلُ الكاتبة البريطانية أيريس مردوخ حضورها في الوسط الفكري بإصدار كتابها الأول عن جان بول سارتر في 1953 قبل هذا التاريخ بتسع سنوات تلتقي بصاحب الوجود والعدم ولم تُصدق أنها أمام فيلسوفها الأثير.ومن المعلوم أن شعبية سارتر كانت تفوقُ ما يحظى به نجوم السينما من الجماهيرية. ويُعزى له الدور الريادي في صرف الأنظار نحو الفلسفة بحيث ساد الاعتقاد بأنَّ الفلسفة خُلقت للجميع ستفردُ مردوخ روايتها المعنونة ب "تحت الشبكة" لمعالجة فكرة التمرد.وأعلنت بأنها ستظلُ تقاتلُ تحت راية سارتر.ولاتؤمن بأدب لايغضب القارىء. تتابعُ الأسماءُ المساهمة في في تشكيلة فكرة التمرد بين دفتي الكتاب.
وبالطبع لا يمكنُ أن يفتحَ القوس على مفهوم التمرد دون التوقف في محطةِ ألبير كامو الذي ضرب بأسطورة سيزيف مثلاً لحياة الإنسان وتخبطه في البحث عن المعنى كان كامو متفرداً في نشأته إذ عانى من المرض وذاق مرارة الفقر لكن مع ذلك احتفى بالحياة على طريقته وأدرك مبكراً بأنَّ الأنسان يسبقُ المنحوتات الآيدولوجية من حيث القيمة والأهمية.والحال هذه لم يكن من المستغرب أن لايتمّ الترحيب به داخل التشكيلات الحزبية. إلى جانب ماور ذكرهم آنفاً فإنَّ ما ألفه "علي حسين" يتسعُ لرموز أخرى بدءاً برامبو وهنري ميللر ومروراً بأميل سيوران وجيل دولوز وجان جنيه وليس نهاية فرانسواز ساغان ويوجين يونسكو وهارولد بنتر ومايجمع بين هؤلاء هو الرغبة في تقويض القواعد وإيجاد مساحة جديدة للعبة. ومايجدر في هذا المقام أنَّ مايقدمه علي حسين في مؤلفاته يفيدُ المختص والقارىء فإنَّ مايتوخاه الكاتبُ هو نشر المعرفة على نطاق أوسع. والمتابعُ لوحدات كتابه الأخير يتوصلُ إلى مايتميزُ به المتمردُ فكرياً إذ لايوكلُ إلى غيره مهمة مواجهة أسئلة مضنية بدلاً منه.

"السفير الحزين" في العدد الجديد من سلسلة إبداعات عالمية الكويتية

الطريق الثقافي ـ خاص

صدر عن المجلس الوطني للثقافة في الكويت العدد الجديد من سلسلة إبداعات عالمية (445) لشهر كانون الأوّل/ ديسمبر 2022 متضمنًا قصص "السفير الحزين" للمؤلفة: أناندا ديفي، التي تمتلك إحساسًا ساخرًا ومتميزًا من الفكاهة، وتبايناً متزايدًا في اللغة التي تخلط كتاباتها بالفرنسية مع اللغة الإنكليزية، والهندية، والكريولية الموريشيوسية. وتدعونا الكاتبة في قصصها هذه إلى عالمٍ من الحكايات العجيبة والألوان والروائح الغريبة التي تزهر بها الهند عامّة وموريشيوس بخاصة. تهتم ديفي بشؤون المرأة الشرقية، كما تنتقد النظرة الغربية إلى الهند. وتتناول في كل قصة منها عوالم حسية عنيفة بمهارة إبداعية كبيرة، على الرغم من مفارقتها المشبعة بسخرية شرسة وناقمة ومعارضة لأنماط الحياة الاجتماعية السائدة والمواقف المجردة من المشاعر الإنسانية.

حجب الأعمال الأدبية التي تتناول موضوعات المثليين في المكتبات الروسية

الطريق الثقافي ـ خاص

أزالت السلطات الروسية عشرات الأعمال الأدبية من المكتبات المركزية في موسكو أبرزها "سوتنيك الحبيبة"، للكاتب الياباني الكبير هاروكي موراكامي، والمجموعة القصصية "العظاءة"، لمواطنته بنانا يوشيموتو، وغيرها الكثير من المؤلفات المترجمة او المكتوبة باللغة الروسية، وتتناول قصصًا ذات موضوعات مختلف عليها، او مثار جدل في المجتمع الروسي والكنيسة الروسية على حد سواء، ويأتي ذلك ضمن إطار حملة واسعة للتضييق على تداول مثل هذه الموضوعات، وحجب الأعمال الأدبية الداعمة للشواذ والمتحولين جنسيًا.

ضوء "النشر الذاتي" ظاهرة تستحق التأمل

يتزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بظاهرة ما يسمى "النشر الذاتي" الذي يشهد ـ في الغرب ـ انتشارًا واسعًا، وتخصص له المؤتمرات العلمية والتعريفية، وقد عُقد في الآونة الأخيرة، على هامش معرض جدة للكتاب، مؤتمرًا تعريفيًا وتداوليًا في هذا الخصوص، تناول فرص النشر الذاتي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وقال خبير ومؤسس ما يسمى "تحالف المؤلفين المستقلين" مايكل لارون: "هناك العديد من الكتّاب ـ الناشرين الذين لديهم القدرة على إخراج كتبهم إلى لعالم، والاستفادة من المميزات الكبيرة للنشر الذاتي، الذي من شأنه اختصار التكاليف والحد من هدر عائد المبيعات، أو مشاركته مع ناشرين محترفين، إضافة إلى توفر خاصية قياس آراء القرّاء وانطباعاتهم عن الكتاب ومدى تقبلهم له أو احجامهم عنه. وستلقي "الطريق الثقافي" الضوء على هذه الظاهرة في أعدادها المقبلة.

بحوث جدلية في كتب

عوالم روسية وعربية

تاريخ الشرق الأوسط الحديث

حرره: إيلين إم كين وماشا كيراسيروفا

يتصدى هذا الكتاب للتاريخ الروسي العربي الحديث وما التبس منه، بسبب الانقسامات اللغوية. ويتضمن مصادر أرشيفية وأدبية أصلية مترجمة من ست لغات، العديد منها لم يُنشر سابقًا. وتمتد جذور التشابكات الروسية الحالية في العالم العربي إلى عمق الحقبة القيصرية والسوفييتية. ولاستكشاف هذه التشابكات، يعرض هذا الكتاب مجموعة من المصادر الأولية المترجمة من الروسية والعربية والأرمينية والفارسية والفرنسية والتتارية. مثل يوميات ضابط في البحرية الروسية من العام 1772، وصك بيع عبيد من القوقاز، ومقابلة مع روائي سوري معاصر تلقى تعليمه في روسيا، وغيرها الكثير.

الناشر: جامعة أكسفورد
السعر: 00 . 80 دولار
عدد الصفحات: 384 مع رسوم توضيحية وخرائط
الرقم الدولي: ISBN: 9780197605769

التفكير مع ابن سينا

بحث في اللاهوت والفلسفة

المحررون: دي سميت وسبتي م. صبحي

يحتوي الكتاب مجموعة مهمة من الطروحات التي فتحت للعديد من الباحثين، آفاقًا بحثية جديدة ومثمرة، تتعلق أساسًا بفلسفة ابن سينا ومصادرها، وعلاقتها بالفكر الإسلامي، وتأثيرها على اللاهوت الأشعري (الغزالي، فخر الدين الرازي) واستقبالها في العالم اللاتيني.
الكتاب بمثابة تكريم لجهود وعطاء ابن سينا وتسليط الضوء على أفكاره وفلسفته. ويقدم جردًا للبحوث المعاصرة بشأن ابن سينا وأجياله العربية واللاتينية، من التراث اليوناني إلى الاستقبال اللاتيني، وفي البحث في اللاهوت والفلسفة في العصور الوسطى.

الناشر: بيترز بوكس
السعر: 92,50 دولار
الغلاف: ورق مقوى
عدد الصفحات: 314
الرقم الدولي: ISBN: 9789042949195

altareek althakafi
الطريق الثقافي
No. 114
11 كانون الثاني/ يناير 2023 11 January
24
مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com
التصميم Sillat Media www.tareekthakafi.com

طاهر حبيب وماديَّة الأحلام الصاخبة

مغادرة القيم التقليدية إلى الجمال الخالص

خالد خضير الصالحي

أقام الرسام العراقي طاهر حبيب أحمد (البصرة 1955)، معرضا تحت عنوان (حياة صاخبة) في قاعة كاليري حامد سعيد، ضم قرابة الأربعين عملًا بألوان وأحجام وأساليب مختلفة.

إنّ إيمان الرسّام طاهر حبيب بان اللوحة كجوهرٍ ليست الا اشتغالا تقنيا على مادة ما، فانه كان يرفض دائما، هيمنة الهامش السردي للوحة على فعالية الرسم، ويأتي ذلك حرصا منه على ابقاء الصورةِ المرسومة معتمدة على وسائلِها الخاصةِ؛ وتقليص حاجتها الى التأويل الذي يقوّلها ما لا تقوله؛ فيتجنب ما يؤدي الى تمكين الـ(سرديات) من اختراق عملية التلقي وتوجيهها؛ وهو ما عزز ايمانه ان اللوحة اشتغال لا يكترث بالعنونة كمتعاليات نصية تماثل المتعاليات النصية التي للكتابة، كتلك التي يشكلها العملُ الادبي؛ وان التمسك بالجوهر المادي للرسم، وباللوحة كواقعةً شيئية، سيؤدي حتما الى استعصائها على العنونة بالطريقة الادبيّة، فطاهر حبيب، في كل تفوهاته، يؤمن ان العنوان موجِّه قرائي (خارج مادي)؛ لذلك نحن نعتقد ان عنونته لمعرضه هذا بـ(حياة صاخبة)، هو في جوهره تورية تقدم جانبا مهما من الحقيقة، وهي الوجود المادي الصاخب للأعمال، التي هي، في حقيقتها، (مادة صاخبة) تستعصي على التشكل كما يؤكد باشلار.

نحن نعتقد ان اهم المقاربات للدخول الى عالم طاهر حبيب ثنائية "الفوضى والنظام" باعتبارهما معا الخطران اللذان يتهددان التجربة الفنية، كما هما "خطران يواصلان تهديد العالم"، كما يقول بول فاليري، لذا يؤسس طاهر حبيب الياته لإدارة الصراع المحتدم، بين (الحرية والسلطة)، بين (الخط واللون)، بين المادة باتجاهها نحو التعميق حيث يستحيل سبر الغازها، وبين المادة باتجاه الانطلاق لتتحول الى طاقة لا تستنفد، ومعجزة لم يتمكن الا اينشتاين من إيجاد قانون تحولها، فلم يجد طاهر حبيب الا محاولة تقنين المادة وكبح جموحها، وفاعلية عنصريها: الخط واللون، لتخضعان للإرادة، والهيمنة الواعية، فيُكبح انفلاتُ اللون (عصيانُ المادة على التشكّل)، او اهمال التشكل، وتُخضع العناصرُ لـ(هندسة الخط) الذي يوظفه الان توظيفا مثاليا؛ لصالح نهوض العقلنة، في الجانب الآخر، فينَصّب الخطُّ نفسَه قوةً تعقْلنُ اندفاعَ اللون، وتعيدُ التجربة لبؤرةِ التوازنِ تماما بين: النظام والفوضى، فكانت التجربة (روحا) فاعلة، تقابلها (مادة) معقلنة، وصارت إقرارا بـشرعية وجود هذين الخطرين؛ فهاتان القوتان كما يؤكد باشلار تتعاضدان وتتواشجان حتى يستحيل فصلهما على نحو كامل؛ فلا مفر للفنان هنا من الانحياز الى مقايسة، ومعايرة العناصر كلها؛ لتكون تحت ميزان دقيق ينظم صراع (العقلنة والجنون) فلا تبغي احداهما وعلى الأخرى. ان المفهوم الشهير (للتشويه) في الفن نجد له تحققات مهمة ناتجة عن التركيبات المبالغ بها، وغير العقلانية، لكائنات طاهر حبيب في معرضه هذا، فهي تبدو لنا أولا استعادة جينالوجية لنزوع بشري استعاري يجمع الوقائع المتباعدة ليوحدها الشعر، انها نمط اصلي (archetype) يحرك البشرية بطريقة سرية في كل الحضارات ويدفعها لتركيب كائنات اسطورية غرائبية، وقد تكون احلاما مسريلة ويقظة، لها قواعدها وقوانينها المختلفة التي (تضبط) عناصرها، باعتبار ان قانون الاستعارة الأهم هو التشاكل الصوري بين طرفين، ومنطقة امتزاج صوري وسطى (ممكنة) تعطي للاستعارة شاعريتها، وحتى وان خالفت قوانين تشريح الكائنات التي قوضتها أحلام وهلوسات حالم كبير كطاهر حبيب الذي لا يكترث نحو مطابقة (صور أحلامه) مع الصور التي تحيط به في واقعه المعيش. قد تنطبق قوانين الفن الفقير على كل مراحل تجربة الفنان طاهر حبيب كون مادة العمل الفني مكونة من الاحبار، واقلام الألوان، والباستيل، وغيرها، وكلها مواد بمتناول ايدي الجميع، ولكن ذلك لا يعني شيئا، فأشكاله براينا تبدو منغمسة بوجودها المادي الداخلي، بعلتها المادية، وجذرها الخفي، فما نتلقاه باعتبارها اشكالا يتلقاها البصر، الا الذي خبرت ملمسيتها وصلابتها يدُ صانعها قبل ذلك.

في الفن

محمد حيّاوي

قصة الحمار "بيردي" ومذلة الأسر..

يقول البرتو مورافيا "الحياة يجب أن تُعاش بهدوء". حسنًا. وهذا ما أحاول ان أفعله في الحقيقة، تعينني بذلك صديقة بوذيّة أسمها آسماي، تعرفت إليها ذات يوم في مهرجان الأفلام القصيرة. ولآسماي هذه أفكار غاية في الغرابة، منها على سبيل المثال، أن الطاقة تدخل إلى أجسامنا من الأرض عن طريق القدمين، لهذا علينا التخلي من أحذيتنا كلما أُتيحت الفرصة، أو أن ننغمس في التأمّل حتى نسمع جريان الدّم في عروقنا. لكن أن تعيش الحياة بهدوء، فهذا يعني أن تنسى، أو تتجاهل على الأقل، جميع مسببات القلق، مثل احتلال حماية رئيس الوزراء منصة حفل افتتاح خليجي 25 وإرهاب الضيوف وطردهم منها، ومنها مثلًا أن يصادفك كهل بصري في الشارع فيهددك بأن ـ ينعل والديك ـ إذا لم تنزل عنده للغداء، وغيرها من المقلقات الكثيرة، لكن أكثر ما أقلقني الأسبوع الفائت، كان فيلمًا وثائقيًا عن "بيردي"، وهو حمار وحش من فصيلة نادرة، جُلب إلى حديقة الحيوانات في لوكسمبورخ من أجل إيناس أنثى من فصيلته تعاني الوحدة. حسنًا. حتى الآن لا يبدو الأمر مقلقًا في الواقع، لكن ما يُقلق هو أن إدارة الحديقة كانت تأمل أن يطغي سحر أنثى حمار الوحش الشابة على صديقنا "بيردي" الذي أُحضر من براري زمبابوي، فيهدي العالم "بيردي" صغير مخطط بخطوط ورديّة، شبيه بتلك الدمى الظريفة المحشوة بالقش، لكن للأسف لم يحصل شيء من هذا، حتى احتار المشرفون على الحديقة في أمره، فلجأوا إلى متخصص بعلم نفس الحيوان! وبعد أن قابل الرجل "بيردي" أكثر من مرّة، وجلس على صفيحة مقلوبة ليراقب حركاته وسكناته، واقترابه من الأنثى وابتعاده عنها مرات متكررة في اليوم، خرج بخلاصة صادمة، وقال للمشرفين المندهشين بدورهم، أنّ "بيردي" هذا مصاب بما يسمى كآبة الأسر، ولأنه اختبر مذلة أن ينظر إليه الناس طول النّهار، ليس ككائن، بل كحمار وحش مسل، لا يريد أن ينجب أولادًا يورثهم تلك المذلة، وأقسم المتخصص ذاك أمام المشرفين، بأن "بيردي" لن يقرب تلك الأنثى الساحرة حتى لو عادلوا وزنه ذهبًا. ولأنّني مؤمن بقول مورافيا بأن الحياة يجب أن تعاش بهدوء، وربما بروية واسترخاء، فقد قررت أن أترك متابعة ذلك الفيلم الوثائقي المقلق والانتقال لمتابعة أحوال البشر من قناة السومرية الفضائية، فطالعني منظر رجل في الأربعين من العمر، أسمر البشرة منفوخ الأوداج بلحية غير حليقة وبطن عظيمة، كان يجأر أمام الكاميرا ويستغيث ـ لأنّهم ـ لا يوظفوه، وأن ـ في رقبته ـ أثنا عشر طفلا، أكبرهم لم يتجاوز الأثنا عشر عامًا، ولأننا في العام 2023، فهذا يعني أن أغلبهم ولد بعد العام 2010، يوم كان العراق ينعم بالحرب الطائفية وانعدام المدارس والوظائف والخدمات الصحية واللقاحات. قلت لنفسي أن العودة لمتابعة قصة "بيردي" أحسن لأعصابي. لكنّني سخرت في سري من مورافيا.